مروان طارق

مقالات

فضلات أدبية

مروان طارق

فضلات أدبية

إهداء

إلي كل الخارجين عن المألوف ممن لا يقبلون الصمت و لا ينهون واجباتهم المدرسية و لا يأكلون وجباتهم كاملة و لا يسيرون علي هامش الطريق ..

مقالات

مروان طارق

فضلات أدبية

عن سيكولوجيا التواصل الإجتماعي

أصبحت مواقع التواصل الإجتماعي جزءاً أصيلاً في حياتنا . وبات يومنا ملئ بالتواصل الإجتماعي علي أنغام صوت اللايك و النوتيفيكشن . و كلما تمر السنين أتذكر بدايات ظهور الإنترنت و مواقع التواصل الإجتماعي بالنسبالي . فكان المدرسين يطلبون منا أن نستخدمه إستخدام جيد . و في بعض الأوقات كانوا من باب المحاكاة و التشجيع علي العمل الجيد أن يطلبوا منا بحث ما عبر الانترنت و ما شابه . في تلك الفترة كان شعار موقع التواصل الإجتماعي فيس بوك كان عبارة عن خريطة العالم و عليها ما يشبه شبكة العنكبوت . نقاط في كل مكان علي الخريطة متصلة ببعضها البعض . مما يدل علي التواصل بين الناس من مختلف الدول . كنت أساءل نفسي في تلك الفترة . ما جدوي و ما معني أن تتتواصل أنت المصري العربي مع شخص أمريكي . او أن يتواصل شخص هولندي مثلاً مع شخص من جزر سان مارينو . و أين التواصل الإجتماعي في ذلك . و في تلك الحقبة كان الاطفال يتفاخرون بأن لديهم صديق فرنسي علي فيس بوك . او صديقة من اليابان . و كان الجميع يحسده علي ذلك . وينظر إليه نظرة إحترام و إجلال . أتذكر الآن تلك الأكذوبة و أشهد تلاشيها من أمام هذا الجيل كمصير أي أكذوبة .

ولكن يبقي السؤال . هل مواقع التواصل الإجتماعي أكذوبة فعلاً ؟

و لأننا أصبحنا بلا هوية في ظل إنفتاح علي العالم و بلا أمل أو سبب منطقي في الحياة بوجه عام . باتت المنتجات الغربية بمختلف أنواعها تلقي لدينا رواجاً رهيباً . فنبدأ بالزمجرة ثم الغضب ثم الرضا بوجودها ثم التطبيع معها كأمر عادي ثم تتحول إلي جزء من ثقافتنا الغير موجودة . و العجيب في المنتج الغربي أنه لا يلتفت لهذه المشاعر المتضاربة و الادعاءات الكاذبة . فهو يكمل في طريقه مضحياً في البداية بالقليل من الخسائر المالية إلي أن يجني مليارات الدولارات القابلة للزيادة في كل يوم و كل ثانية . فهو يتركك تنهي رحلتك بين درجات التطبيع و هو يقهقه بالضحك حتي تخضع و ترضي بالأمر و مع مرور الوقت تنسي من الأساس أنك كنت تحاربه أو كنت ضده . و مع مرور وقت أطول ستنسي للأسف الأسباب التي جعلتك تتخذ موقف عدائي منه . و يتحول هذا المنتج من جزء من يومك او حياتك . ليصبح البناء الذي تقوم عليه حياتك . و يغيرها و يشكلها حسبما تقتضيه سياسة المنتج . و في تلك الدورة تضيع بعض القيم او يقل أثرها في نفس كل فرد .

التكنولوجيا الفائقة

مواقع التواصل الإجتماعي و تطبيقات الخدمات المختفلة

شبكة الإنترنت

التطور العلمي و بداية عصر التكنولوجيا

الثورة الصناعية .

... إذا أمعنت النظر في تلك المراحل و حال الإنسان بداخلها . ستجده يتضاءل شيئاً فشيئاً . ستجده يتلاشي لصالح قوة غامضة . ففي أعقاب الثورة الصناعية بدأ ظهور الآلة كتقنية صناعية تغني عن الإعتماد علي أساليب الصناعة البدائية اليدوية القديمة . و مع التطور العلمي المعلوماتي و بداية عصر التكنولوجيا الحديثة بدأت الألة تفقد حاجتها للمجهود الإنساني . فالآلات التي كانت تعمل بواسطة الفحم و بمجهود مضني أصبحت تعمل بتقنيات حديثة لا تحتاج إلي نفس المجهود و لا نفس عدد العمال . و بدأت مجالات الإنتاج تتشعب في كل مجالات الصناعة . و إنعكس هذا التحول علي الحياة الإجتماعية . فالأثاث البسيط البدائي و الاعمال البسيطة المختلفة التي كان يقوم بها الإنسان تم إنتاج أجهزة تقوم بها علي حدا . فعملية الغسيل او الكنس او الطهي في المنزل التي تعتبر عمليات منزلية إنسانية تؤثر في الإنسان و تشكل شكل يومه العادي . باتت عملية آلية عابرة تستنزق قيماً هامة في الحياة مع كل إصدار حديث . فالألة التي كانت تقتسم جهد المرأة في المنزل قديماً باتت الآن تعمل بآلية كاملة لا تحتاج من ربة المنزل إلا أن تصغط زر التشغيل حتي تتم العملية بدون أي تدخل إنساني . فالآلة التي كانت جزءاً من الحياة أصبحت الآن هي الحياة . تشكل حياتنا و تشكل قيمنا . تتوقف عليها إنفعالاتنا و مظاهرنا و ردود أفعالنا .

لن أملئ رأسك بأسس الفلسفة المادية وفلسفات عصر الحداثة و ما بعد الحداثة . ولكن التكنولوجيا التي من أكبر منتجاتها شبكة الإنترنت و التي أتت لنا بمواقع التواصل الإجتماعي كلها تطورات من فلسفة واحدة و هي الفلسفة المادية . فأنا هنا لا أتكلم عن مواقع التواصل الإجتماعي بشكلها الحالي و لكني أتحدث عنها ضمن النموذج المادي . فهذه النظرة هي التي ستجعل الامور تتكشف ليزيل عنها الغموض .

فالفسلفة المادية تسعي جاهدة إلي نزع القيمة عن الحياة و إبعاد الإنسان عن مركزية العالم . فالانسان في العالم المادي جزء من العالم (الطبيعة – السوق – المعمل – المصنع) فذلك العالم لا يحمل بداخله أي قيم ماورائية أو روحية أو ميتافيزيقية . فلا قيمة لوجود إله غير ظاهر ظهور مادي . ولا قيمة لجنة او نار او بعث طلما لا يوجد لهم وجود مادي في الواقع الحالي . فإذا ألقينا نظرة علي عالم الانترنت و مواقع التواصل الإجتماعي . سنجد نزع للقيمة في كل شئ . فمع ظهور الهاتف أحد قفزات الفلسفة المادية بدأت الألة

(الهاتف) تحل محل المجهود الانساني المختلف الذي تتولد عنه قيم و لحظات مهمة في حياة الفرد . فلا حاجة إلي شراء ساعة او ضبط المنبه أو شراء راديو لسماعه . و لا حاجة إلي شراء الأسطوانات ثم الشرائط او الذهاب للحفلات الموسيقية لأن تلك الأغاني يمكن سماعها من خلال الهاتف . و كذلك لا حاجة إلي الذهاب إلي المسرح أو السينما أو شراء الفيلم علي شريط فديو او علي أسطوانة لأنه يمكن مشاهدته من خلال

الهاتف . وكذلك الإتصال بشخص تليفونياً كان يحتاج قديما إلي مجهود شاق و لكن الأمر تغير الآن . علاوة علي ذلك العديد من التقنيات الحديثة التي ظهرت الآن . ومع كل هذه التحولات تغيرت حياة الفرد و تغيرت أحلامه و تطلعاته . و مواقع التواصل الإجتماعي فككت قيماً هامة مثل الصداقة و التواصل و الإنفعال . فالصداقة باتت منزوعة القيمة . فلا دور للإنسان بداخلها فهي عملية تكنولوجية عابرة للزمان و المكان . فمن خلال المواقع يمكن أن تعزيه في موت شخص مقرب له . او تبارك له علي شئ سار حدث له . أو تشكي له من شئ او تخبره عن معلومة . أو تسأله عن شئ ما . فهي صداقة بلا عامل إنساني يقوم عليها سوي الوجود الإلكتروني من خلال الهاتف النقال و شبكة الإنترنت العابرة و مواقع التواصل الإجتماعي . فالصداقة أصبحت صوراً لأشخاص في عالم إفتراضي غير موجود علي أرض الواقع . فإختلاف ظروف الحياة و إختلاف طبيعة الجو أو طبيعة المكان أو الظروف الشخصية او المرحلة العمرية غير موجود . فهذه العوامل البسيطة هي من تصنع من الصداقة قيمة في حياة الإنسان و في تكوينه النفسي . فمقابلة الصديق واقعياً تتوفر فيها كل تلك العوامل . فهي متزامنة مع ظروف حياتية معينة (ثورة – حرب – دمار – إحتفالات ...) و مع طبيعة الجو (برودة – مطر – حراراة شديدة – رعد و برق – سيول ...)

و مع طبيعة المكان (ريف – مدينة – شارع – بحر – بيت – مدرسة ...)

و مع الظروف الشخصية (مرض – سعادة – دراسة – إحتفال – إنشغال – عمل – سفر)

و مع المرحلة العمرية (طفولة – شباب – كهولة)

فالهاتف من خلال مواقع التواصل الإجتماعي يجهز علي كل تلك العوامل التي بدونها تموت الصداقة بمعناها الحقيقي و مغزاها الحقيقي حيث معرفة الإنسان لأخيه الإنسان معرفة شخصية و تبادل الحب و المشاعر و المناسبات المختلفة و أمور الحياة عامة . وتلك العملية تخلق الحياة الإجتماعية الحقيقية و بدونها سيكون الإنسان جاهل بخبايا و طبيعة كائن في منتهي الأهمية و هو الإنسان ..

و كذلك التواصل بين الناس قد فقد قيمته و أصبح أمراً شديد السهولة لا يحتاج في أغلب الأحيان إلي وجود إنساني حقيقي . فيمكن أن يكون الشخص خارج البلاد في رحلة ما أو خارج المدينة يزور الأقارب حتي تتمكن بكل سهولة من التواصل معه . فعملية التواصل غير قائمة علي وجود الإنسان بشكل أساسي بل علي جهاز الهاتف الذي يملكه . فمشاعر مهمة كالإشتياق أو الإنتظار او التأهب لعودة شخص مقرب او صديق قديم باتت شئ نادر . فكل الامور يسيرة و في المتناول .

.. أما عن علمنة الإنفعالات و نزع القيمة عنها من خلال مواقع التواصل الإجتماعي فلابد أن نعود إلي البداية . إلي عالم الصورة

فإذاعة الاخبار كانت تتم قديماً بواسطة منادي . يطوف البلاد لكي يذيع ما ملىّ من السلطنة . فيسمعه الناس مباشرةً و تتفاوت بينهم الإنفعالات من حيث الشدة و الموضوع . فهناك من يغضب و لذلك درجات و هناك من يرفض و لذلك درجات و هناك من يركب و لذلك درجات و هناك من يفرح و لذلك درجات و طرق مختلفة في الإنفعال بين الناس . ثم تطور الأمر مع بداية زحف المدنية نحو الحياة و تفكيك القيم و مع كل عصر بدأت عملية تفكيك القيم و نزعها تزداد . لتتحول عملية الإنفعال الإنساني إلي عملية فردية قائمة علي السرعة و التنقل بين الصور . و مرت السنوات حتي أصبحت الحياة عبارة عن عالم من الصور المتنقلة من خلال الجريدة و الإعلانات في الشوارع و التلفاز و الهاتف و غيره . فالإنفعال في تلك الصورة لابد ان يكون سريعاً و مختزلاً و مفكك و منزوع من القيمة الإنسانية . فنشرة الأخبار في مدة عشر دقائق يمكن أن تبث أمام عين المشاهد من خلال التلفاز حوادث مختلفة يختلف إنفعاله بينها بين الفرح و الحزن و الغضب و السعادة الغامرة و الإنقباض . كل ذلك في غضون دقائق قليلة . و كذلك مواقع التواصل الإجتماعي فقد تري صورة زواج صديق لك فتبارك له في التعليقات و تسعد به و تتأمل تفاصيل الصورة في بهجة و إعجاب ثم بحركة إصبع تري صورة من أحد المذابح الدموية في أحد الدول فتتقزز و يقشعر بدنك ثم بحركة إصبع تشاهد مقطع فديو لإسماعيل بس و هو يتمايل في مشيته المضحكة و

يتلاعب بمخارج الكلام و يغير في ملامحه فتضحك و تقهقه ضاحكاً . ثم بحركة إصبع تري خبر عن لاعب جديد سيشتريه الأهلي أو خبر عن نتائج الانتخابات الرئاسية في ألمانيا . أو عن حرب متوقعة بين عدة دول ... إلخ

كل ذلك سيؤدي بمرور الوقت إلي نقطة من اللاإنفعالية . فأبشع الحوادث و أفدح الكوارث لا يكلف الفرد إلا دقائق قليلة من الحزن ثم يتلاشي سريعاً ذلك الشعور . ليفسح المجال إلي شعور آخر يمتد لدقائق إضافية أخري و هكذا ..

فمواقع التواصل الإجتماعي لم يكذب من سماها بهذا الإسم . و أعتقد أن من سماها بهذا الإسم كان شخص عبقري و بعيد النظر . فهو سماها بذلك لا لأن تكون هي وسيلة التواصل الإجتماعي الحالي بل ما يجب أن يكون عليه التواصل الإجتماعي في الوقت الحالي و في المستقبل القريب و البعيد أيضاً . فقانون السوق و الفسلفة المادية لا يريدون وجود قيم تعلي من قيمة الإنسان أو من قيمة الجماعة بشكل عام . فهو يعمل علي الاعلاء من فردانية الإنسان و وحدانيته في عالم يدور حول نفسه بلا نهاية و بلا معني .

عن وهم الإشتراكية الناصرية و الاسهال الرأسمالي

إثنان و أربعون عاماً مروا علي نهاية الحقبة الساداتية و ثلاثة و خمسون عاماً علي الحقبة الناصرية . قد لا تكون الإشتراكية هي أسوأ النظم الإقتصادية السياسية في العالم و كذلك الرأسمالية . ربما يكون لها عديد من المزايا كما لها العديد من المساوئ . ربما لو كنا طبقنا الإشتراكية بصورة أكثر عدالة و وسطية لآلت أحوالنا إلي مصير أفضل . و ينطبق الأمر علي الرأسمالية . لو كانت قد طبقت بصورة أكثر عقلانية و إعتدال لغمرتنا مكاسبها و تجنبنا مساوئها .

و لكن الأمر يكمن في النظام . وفي الجمهور . وهنا يثور السؤال ألا و هو . هل كانت مصر علي إستعداد كامل و عن وعي كامل بالإنجراف نحو معسكر الشرق . و تبني الإشتراكية كفكر و نظام ؟

بالطبع لا . حتي و لو غني لها عبد الحليم حافظ (يا عديم الإشتراكية يا خاين المسؤولية)

فخطوة كهذه لا تتخذ بكل تلك السهولة . فالتحول من دولة ملكية أرستقراطية الحكم إلي دولة جمهورية . ثم جمهورية إشتراكية . يحتاج كل ذلك إلي سنوات و سنوات من الدراسة الجادة المبنية علي أهداف محددة . وليس مناكاة في أحد .

و كما كان القرار عشوائي و فردي و غير مبني علي دراسة حقيقية . جاء التنفيذ شكلي و قائم فقط علي المكاسب السياسية و البروماجندا الإعلامية التي كانت منصوبة لناصر . فبدأ خطوات الإشتراكية بتأميم كل المشروعات الخاصة الناجحة حتي يكون هو الوحيد صاحب الموارد و المال في البلاد . و أن يكون النجاح بيد ناصر فقط .

و علمنا بعد ذلك كم دفعنا نظير هذه القرارات اللاعقلانية و الغير منطقية . ثم بدأ ناصر يبني العديد من المدارس الحكومية و المستشفيات الحكومية و المصانع الحكومية . ثم أرسي مجانية التعليم . و لكن كان ناصر كغيره من الحكام الذين لا يملكون أي شئ مبهر سوي الحضور أمام الجمهور و الخطابات الحنجورية الباهتة و النرجسية الكاذبة . و الاعتقاد بعلو الشأن .

.. فالسمة الاساسية التي أفشلت نظامه و أوصلته إلي قاع الهاوية . هو إفتقاده لوجود نظام حقيقي و جاد . فالدولة الإشتراكية لابد أن تسير بديناميكية معينة تحقق التكامل بين كل قطاعات الدولة الإنتاجية و الخدمية . و يصبح الأمر أشبه بشبكة العنكبوت متصلة ببعضها البعض . و حتي يسير الأمر علي تلك الوتيرة لابد من إرساء الديمقراطية و مبدأ سيادة الأمة و مبادئ العدالة و المساواة و حسن توزيع الموارد ... إلخ

فكيف ستتطبق كل هذه المبادئ و النظام الذي يتولي التطبيق أتي بعد إنقلاب علي الملك فاروق و نفيه ثم إنقلاب علي محمد نجيب و وضعه تحت الاقامة الجبرية . ثم الاجهاز علي الحياة السياسة و حل الأحزاب السياسية و الزج بالمعارضين في السجن و التنكيل بهم . ثم تجاوزات جهاز المخابرات . و نزح الجهاز العسكري نحو النفوذ و السلطة و تقلد أعلي المناصب السياسية و التبختر في رغد الحياة المدنية المترفة

فأي حديث عن إشتراكية و أصحابها ينعمون بحياة ملوك العصور الوسطي حيث القصور و الخدم و مظاهر البزغ في كل شئ . و من ثم أجهزت النكسة علي كل تلك الاوهام .

فالمصنع الذي بناه ناصر ليعمل به أبناء الدولة إفتقد لسياسة التشغيل و حوافز الإنتاج و غيره مما جعله مع الوقت يتحول إلي عبئ علي الدولة . ثم تحولت الشركات و الهيئات الحكومية إلي خلايا سرطانية بيروقراطية فاسدة . لأن النظام لجأ إلي أصحاب الثقة الغير مؤهلين من حيث الخبرة و العلم و الغرض النبيل علي حساب أصحاب الخبرة و العلم و الغرض السامي من وراء العمل . و من ثم تغلغل الفساد و الرشوة و المحسوبية و البيروقراطية إلي تلك الشركات و الهيئات حتي باتت أشبه بالسوق الذي لا يحكم فيه أي قانون . فالشركة تابعة للدولة و رئيس الدولة و الحكومة لا يراقبون او يحاسبون لأنهم منهمكون في سرقات أرفع شأناً من تلك . و داخل الشركة لا يوجد أي سياسة تحفز علي الإنتاج . فتسلل الكسل إلي النفوس و أصبحت تلك الشركات ملجأ لأصحاب المطامع و العلاقات و النفوذ الدنئ .

و إمتدت تلك الخسائر و العثرات في القطاع الإنتاجي إلي القطاع الخدمي . فكان التعليم مجاني و الصحة مجانية و لكنهما أيضاً إفتقدا إلي النظام أو سياسة التشغيل . فمع مرور الوقت إمتد نفس الكسل و الركود إلي المدارس و قطاع الصحة و بسبب غياب المبادئ الأساسية و تفشي الفساد باتت عبئاً علي الدولة مما جعلها تتجه إلي تخفيض ميزانيتهما تدريجياً حتي أصبح القطاعين في حالة يرثا لها . فالتعليم مجاني و لكن لا أحد يتعلم شيئاً و المدرسة و الفصل الدراسي و المعلم في حالة مزرية . فما جدوي المجانية بلا تطوير شامل في نظام التعليم . و ما جدوي مجانية الصحة إذا تحولت المستشفيات إلي أماكن مهترءة مقززة عاجزة عن توفير متطلبات العملية الصحية . و هذا كله يعكس عقلية ناصر الذي يوجه قراراته و أفكاره إلي طبقة من نفس تلك العقلية . فالعروس ترتدي غطاء أبيض جميل . تتدلي منه عيناها الزرقتان الفاتنتان فتسلبك كل شئ فتقترب منها و بمجرد أن تنزع الغطاء تداهمك الحقيقة المرة . بأنها أقبح من زوج عمتك الذي إحترقت به الشقة و لم يزل من وجهه أي معالم تدل علي هويته .

فإذا وضعت حال الدولة المتخبط و الفاشي و الظالم مع التنفيذ الفوضوي و اللامنطقي في صورة واحدة . ستتضح أمامك الحقيقة بوجهها الجلي بدون غطاء وجه يحجبها . ولا مساحيق تجملها ولا عيون زرقاء تفتن أصحاب العقول الخربة .

و كذلك الأمر بالنسبة لرأسمالية السادات . فأصبحنا في يوم و ليلة مجتمع مادي إستهلاكي رأسمالي يلهث وراء كل ما هو أمريكي . بلا دراسة حقيقية او شفافية او مناقشة مجتمعية . فالرئيس قرر ان ينجرف إنجراف أهوج نحو أمريكا خاضعاً خانعاً . فينجرف الشعب حتي قبل أن يفهم ماذا يحدث . أصبح هذا الشعب البسيط المسكين مطالب بأن ينتطلق من أقصي الشرق إلي أقصي الغرب . بكل ما في ذلك من تغير فكري و تحول إيديولوجي . و كما قلنا في إشتراكية ناصر بأن قرارات كتلك لا تتخذ بكل هذه الفوضوية و العشوائية بل لابد من وجود حوار مجتمعي شفاف و واضح بين كل عناصر الحكومة و الشعب .

فمصر ما بعد كامب ديفيد ثم الإنفتاح كانت نسخة فريدة من نوعها . يكفي أن تري صورة صغيرة عن مصر في ذلك التوقيت حتي تري الفوضي في كل شئ و الزحام الهادر يغمر الشوارع . و الأوجه الذي بدأ يزحف إليها الجهل و اللامبالاة و الفقر . بدأت " الفهلوة " تحجز مكاناً أصيلاً داخل عقل كل مصري و كل شاب و كل مسؤول . تلك النظرة الزائغة التي تهدم كل قيم و أي قيم بمجرد أن تراها . تلك النظرة أصبحت وقود كل شركة و مصنع و هيئة و مصلحة حكومية في تلك البلاد الحزينة . تلك النظرة التي تشي بمبدأ خطير ألا وهو " الفلوس كل حاجة " . فمصر في تلك الحقبة كانت دولة منتصرة ظاهرياً . خاضعة و مهزومة و مطبعة باطنياً . و من جديد وجد جيل ناصر نفسه في مأزق شديد ألا وهو الوضع الإنفتاحي الجديد . فالوظيفة لم تعد مجدية . و النقود تتلاشي قيمتها يوماً بعد يوم . و التطلعات الإستهلاكية و السلع الكمالية بدأت تزيد وطأتها في كل شئ . و أصبحت الطبقة المتوسطة الناصرية علي المحك . و باتت ملزمة بالزحف نحو المعسكر الأمريكي

. لتواكب التطور المجنون الغير محسوب . و هنا لابد ان نلقي نظرة علي طبقة الملاك و رجال المال في مصر . فتلك الطبقة كانت من الطبقة الأرتسقراطية المثقفة و بعض رجال الأعمال المصريين و الأجانب التي كانت تعمل في ظل مناخ مستقر . أما بعد الثورة فتم القضاء علي تلك الطبقة بالثورة من ناحية و التأميم من ناحية أخري . و بعد ذلك تم إحلال طبقة ملاك جديدة . تملك المال و العلاقات و لكنها لا تملك الثقافة ولا قيم العمل . تكدس الثروات و لكن من خلال خلفية فاسدة و بيروقراطية طاحنة . تملك الكثير و لكنها تفتقد إلي الفكر الإقتصادي الربحي . أما في عصر السادات فالفوضي زادت وطأتها و تشكلت طبقة الملاك من رجال العصر الناصري الذين إستطاعوا أن يواكبو هذا العصر . بالاضافة إلي طبقة جديدة أكثر خطورة . ألا وهي طبقة تجار الشنطة . حيث التهريب و التزوير و الفساد . وتلك الطبقة التي كان لديها الاستعداد لمواكبة العصر أياً كانت النتائج . و بمرور أعواماً قليلة . رزقت مصر بمليونيرات و ملياردیرات لا يعلم أحداً عنهم أي شئ . متي ظهر و كيف ظهر و من أين بتلك الثروة ؟ لا أحد يعلم . ثم تم شراء السياسة بالمال و بدأنا في عصر إنفتاحي فوضوي مجنون .

و إذا نظرت في مجتمعنا الآن ستري ما تحمله نكباتنا من ملامح ناصرية و ساداتية . و إذا عمقت النظرة أكثر ستري ان الوضع لم يتغير من الأساس . و إذا حاولت ان تتظر إلي الحقبة العسكرية باختلاف الأشخاص كحقبة واحدة ستتكشف أمامك أموراً كثيرة . فالأسلوب واحد و سمات الحكم واحدة و القرارات بالطبع مختلفة في ظاهرها و لكنها في باطنها تسير في إطار واحد و إلي نتيجة واحدة . و يجب أن يعلم

الشعب ان أياً كان الفكر الإقتصادي أو السياسي المطروح لابد أن يطرح من خلال نظام ديمقراطي حر . يؤمن بقيم الانسان إيمان أعمي . أما النظام الديكتاتوري الشامل الذي يحمل قيم الفساد و الفاشية و رسم الأساطير الكاذبة و الظلم وحبس الأصوات وقتل السياسة و إراقة الدماء في سبيل السلطة . فكل هذه أنظمة لا تنتظر منها أدني خير .

هلاوس قد تروق لك ..!

كم يروق لي ذلك ..!

- ألا أموت قبل أن تتحرر مصر من قيودها
- أن يداهمني مرض السرقة حتي أشعر بما تشعر به الحكومة المصرية المبجلة
- أن أجالس عم أحمد فؤاد نجم و الشيخ إمام و ندخن الحشيش سوياً
- أن أعمل ما احب
- ألا أحب سوي نفسي
- أن أخلط بين موتسارت و نجيب محفوظ في آن
- أن أقتل أحدهم (.....)
- أن أدخن الحشيش و لو لمرة واحدة
- أن أبكي بسهولة
- أن أسير في شوارع هادئة منطوية علي نفسها لا يعلمها إلا أنا (كما أخدع نفسي)
- أن ألتهم كتاباً لأحد الدكتورين (أحمد خالد توفيق) (عبد الوهاب المسيري)
- أن أعزف علي العود
- أن أعود بالزمن لأقتل عبد الناصر
- أن أقرأ هتافات علي جدران الشوارع تعود إلي فترة الثورة

- أن ينتهي الإنسان ... إلي الأبد .
- أن تتكدس الكتب من حولي
- أن يعود إليّ حماس الماضي .
- أن يكون الوطن مفهوم و حلو و يتحضن (الأبنودي)
- أن تنتهي رحلة الدراسة بلا أدني جرائم
- أن ينظم كايروكي حفل صاخب أسفل منزلنا
- أن أعيش وحدي
- أن تعلم أمي أني لم أخدع إلا نفسي
- أن تتركني الثلاثية الغليظة (الدوار و الصداع و الاكتئاب)
- أن أتصالح مع شكلي عندما آراه في المرآة
- أن أحلم بها مرة أخرى
- أن تعود نادمة او شاتمة
- ألا يطاردني الشعور بالفشل و إنعدام القيمة
- أن أعيش في خيال يوسف شاهين أو محمد خان
- أن أكتب تلك القصة التي تلح عليّ دوماً
- أن أتحرر من ذلك الكسل الأزلي .
- أن أتجرع البيرة لمرة و أعيش حياة العربدة و لو ليوم واحد فقط
- أن أضاجع إحداهن بلا أدني شعور بالعالم
- أن أكتب حتي الموت
- أن تعلم المرأة أنها لا تساوي شيئاً
- أن تتمسك أحلامي بتلك الحبكات المزهلة
- أن يتحرر شارعنا من بلطجيته .
- أن أذهب إلي السينما بمفردي
- أن تنتهي موسيقي المهرجانات من هذا الكوكب اللعين

- أن أعمل بائع جرائد (أقرا الحادثة .. اخبار اهرام جمهورية) من باب التدريب هههه
- أن أعيش علي كوكب من " المكرونة بالبشاميل "
- أن تعلم المرأة التي أشتهيها أني أتقزز منها أحياناً .
- أن يعلم هشام نزيه انه عبقري فذ
- أن يعود العسكر إلي الثكنات و تعود المرأة إلي المطبخ و يعود الطفل إلي طفولته
- أن ينتهي هذا المقال الذي لا أري من وراءه أية جدوي

و أخيراً تلاقي الشيخان

كثيراً ما يتبادر لذهني تلك اللوحة التي كنت أرسمها في الماضي متاثراً بصورة في فترة الثورة عن الشيخ و القس الذين يقفون بجوار دبابة في ميدان التحرير و يتصافحون سوياً . كنت أرسمها كل يوم عشرات المرات و أعرضها علي أبي و أمي حتي يعلموا أن لديهم طفل عبقري علي الرغم من عقده الاول علي ظهر هذا البلد إلا أنه لا يخلو من معرفة و نظرة للأمور . بالتأكيد أصابهم الملل و عرفوا أنني لست عبقرياً بالقدر الذي كنت أحسبه و لكنهم تيقنوا أني مثير للضجر و (عيل سئيل)

...كثيراً ما تزعجني تلك الهالة النمطية الخاصة التي توضع حول الأقباط في مصر . دائماً ما أشعر بأن إنغماس الأقباط بين طبقات المجتمع و الحياة في مصر ينقصه شيئاً ما . ذلك الشئ الذي يجعلهم مضغة لكل صاحب سلطة في مصر و كل حكام مصر علي مر العصور . فهم طبقة خاصة و لأنهم كذلك فيجب تدليلهم و عزلهم عن الأحداث بالقدر الذي يجعل كسب إنتمائهم أمر في غاية السهولة . فهم ضعفاء قليلي الحيلة الجميع يحارب من أجل القضاء عليهم و طردهم و إبادتهم إلا من يتولي السلطة . ذلك المنقذ المتسامح مع جميع الأديان الذي يختلف

كلياً عن ذلك القطيع القاسي المتطرف . فاللعبة قائمة علي المبالغة في تصوير جانب من الشعب و هم المسلمين و إضعاف جانب أخر من الشعب و هم الأقباط و لذلك يهرع الأقباط بما يملكون من قوة بشرية ضخمة إلي من يتودد إليهم حتي و لو كان تودد زائف . فلا وقت لتحكيم العقل. فالمسلمين الاشرار يتحينون أي فرصة حتي ولو كانت ضعيفة إلي هدم جميع الكنائس وحرق الأناجيل و طرد الأقباط شر طردة . أو إبادتهم كما فعل هتلر مع اليهود . قد تري أن المقال يحمل الكثير أو القليل من المبالغة و لكن من المؤكد أن الأقباط في مصر ليسوا مصريين بالصورة التي لابد أن يكونوا عليها . و هذا الطابع السياحي الذي يوضع عنواً حول الأقباط في مصر لا يستفيد منه أحد إلا من يلهثون نحو الكرسي . أعلم أن ذلك المقال كان لابد أن يكتب بعد تلك الرسمة التي ترجع إلي فترة الثورة بعدة دقائق . لأن الجنسية المصرية أصبحت الآن شيئاً مثير للسخط و الرثاء . و لا يطمح لها اي إنسان أياً كانت ديانته . و لكن للأسف في الوقت الحالي إزداد ذلك الأمر و أصبح يثير الفخر لدي الأقباط علي عكس السنوات الماضية . فتلك الصورة التي كانت تمنعهم في الماضي من الإندماج في المجتمع . أصبحت تميزهم عن الشعب و عن المجتمع و عن الدولة. و أصبحت الكنيسة فصيل سياسي مستقل عن الدولة . يدير شئونه و مصالحه من أجل نفسه و ليس من أجل الدولة . فمن يحقق له مطالبه يكون هو الشخص الأحق . و لذلك نادراً ما تجد أحد الأقباط يشارك في تحرك ما حتي و لو بإبداء الرأي فقط أو تجد لديه رأي ساخط و حماسي . فهو طبقة أعلي من الباقون . قد يشارك في نقاشهم المحتدم و لكن بصورة هادئة و حكيمة و بكلمات رشيدة تمنعه من الإنغماس في الأمر حتي ولو كان هو و عائلته أحد المتضررين . فالغرض النهائي ليس نصرة الأقباط أو إنقاذهم من المسلمين الأشرار . لأن ببساطة الأقباط كجميع فئات الشعب لا يوجد شئ يخافونه إلا ما يخافه باقي فئات و طوائف الشعب . فالأمر أنني

أصنع مشكلة لأخرجك منها لأظهر بمظهر البطل و المنقذ . و لكن الحقيقة أن الأمر في غاية البساطة . فالغرض ليس إنقاذهم من خطر داهم ينتظرهم . بل إبعادهم عن محور الاحداث و معاملتهم ككتلة واحدة وهي الكتلة المسيحية .

و لكن يبقي السؤال . هل هذا التعامل النيشتوي مع الأقليات مثل (الأقباط – المرأة – ذوي الإحتياجات الخاصة – اللاجئين – الأقليات العرقية) من خلال نزع العامل الإنساني و تفكيك قيمة الإنسان لصالح الكتلة الصلبة التي تستغل في مطامع إقتصادية و سياسية و كأنهم سلعة تباع و تشتري . أمر صحيح ؟ بالطبع لا فهو تعامل في قمة القسوة و البشاعة و لكن طلما الأمر يرضي جميع الجهات بما فيهم الأقباط ف (أنا مالي)

فضلات فنية

لست ناقداً فنياً أو ممثل شهير أو مخرج متقاعد رفيع الشأن قد غلبه الملل و السخط حتي أقول أن العمل الفني المصري بمختلف أنواعه أصبح عديم القيمة و الجدوي في آن واحد . هل هذا الأمر يرجع إلى ضعف المواهب ؟

بالطبع لا . فمصر بلد خلاق بالمواهب يتنفس الابداع علي مر عصوره . و حتي في تلك الحقبة السوداوية توجد مواهب عديدة تريد التغيير و تطمح له . و من وجهة نظري أُرجع تلك المشكلة إلي سببان جوهريان . وهما الفشل الإداري العام في مصر و تبخر الطبقة الوسطي.

من البلاهة أن أناقش الفشل الإداري في مصر لأن القاسي و الداني يعلم ما تعانيه مصر من ويلات الفشل الإداري الذي يطوق مصر و يمتد إلي جميع الجهات . و لكني سأكتفي بالجانب الفني . فالفشل الإداري في الفن يكمن في إدارة الموهبة و مدي حاجة النظام الذي يرتكب هذا الفشل

الإداري إلي الموهبة من الأساس . فالواسطة و الفساد و العلاقات جزء أساسي من الدخول إلي عالم الفن و من الطبيعي أن تجد النهاية قاتمة السواد . فيتحول العالم الفني إلي عالم موبوء يملأه أصحاب الوسايط و الفاسدين عديمي الامانة و المواهب و الإبداع . و من الطبيعي أيضاً أن تفتح التلفاز الآن لتجد أمامك فيلم أو مسلسل يتناول نفس الموضوع السطحي ذا الطابع الاستهلاكي للمرة المليون . فكتاب السيناريو جميعاً يتناولون نفس المواضيع التي لا يتعدي عددها خمسة بنفس الطريقة و نفس الحبكة ونفس الحوار النمطي الساذج التقليدي . و المخرجين تقريباً ليس لهم أي دور في تلك الأعمال و نادراً ما تتذكر إسم مخرج من المخرجين الحاليين . و الممثليين أصبحوا يمثلون . فيتصنعون التأثر و الصدمة فتشعر بردءاة التمثيل الذي جعلك تري الأمر أنه تمثيل بالطبع. و أمام كاميرات مراسلي القنوات و الصحف بعد أي مهرجان أو دور عرض لا تسمع من الممثليين و المخرجين و الكتاب إلا جملة واحدة

" هذا (مسلسل / فيلم) إجتماعي يتحدث عن(العائلة / البيت)المصري"

تلك الجملة أسمعها أكثر من جملة (هات واحد شاي) في المقهي . فالجميع يتناول البيت المصري و يتحدث عن العائلة المصرية . و لو كنت مشاهد عتيد و عنيد مثلي لهذه الأعمال ستعلم يقيناً انها لا تتناول البيت المصري و لا تتحدث عن العائلة المصرية . فالمنزل عبارة عن منزل عتيق من منازل وسط البلد او فيلا في أحد مجمعات طريق الاسكندرية الصحراوي التي تتسم بالترف و الثراء و تحدوها الاسوار العالية و الاشجار الكثيفة و رجال الأمن . و الاشخاص يبدو علي ملابسهم و مظهرهم الثراء و لكنك ستعلم أن الأب يعمل موظف بسيط في السجل المدني أو مدرس ثانوي في أحد المدراس . أما الأحداث فتدور من خلال الحوار . فتجد المسلسل ملئ بالمواجهات بين الأبطال من أجل الحديث المطول الغير مجدي و لكنه ينتهي بالبكاء الشديد و في

هذه الأثناء تعلو الموسيقي التصويرية ليتمادي البطل او البطلة في بكاء شديد ليس له أي داعي سوي جلب عطف المشاهد المسكين . و لا يمنع أن توضع أغنية شديدة الحزن خلفية لهذا المشهد الجنائزي . و تتوالي الاحداث بنفس الرداءة و لا يمنع أن يتحول المسلسل إلي كافتريا علي النيل .. الصغير و الكبير و الغني و الفقير واقعون في قصص حب معقدة للغاية . و في النهاية تبدو السعادة في أبهج صورة .فغالباً إما البطل يتزوج حبيبته أو ينجح في مشروعه ليغتني و يصبح مليونير و يقتني فيلا بسيطة من طراز البيوت المصرية الاصيلة التي تقع علي طريق مصر إسكندرية الصحراوي . أو يُقبض علي عدوه الذي كان يطمح لخيانته . و من ثم يتجمع الجميع في صورة مبهجة ينزف أمامها المشاهد أطنان من الدموع و يمط شفتيه و يتنحنح ثم ينتصب في مكانه و يفرد قامته ليقول بصوت مضطرب " هاهي العائلة المصرية الاصيلة"

بالطبع ليست هذه العائلة المصرية و لا هذا هو البيت المصري . ولا تمثل تلك المواضيع التافهة أي إهتمام لأي مصري . و السبب الثاني و المكمل لانحدار العمل الفني المصري هو غياب الطبقة الوسطي و تبخرها . و هذا السبب أراه خطيراً جداً . فتلك الطبقة هي عماد أي دولة في جميع مجالاتها ومن دونها ينهار بناء الدولة . فإذا نظرت إلي ممثلي المرحلة السابقة أمثال عادل إمام و نور الشريف و أحمد ذكي و غيرهم ستجد بمجرد النظر إليهم ذلك الطابع البسيط الخالي من المبالغة . تشعر أنه أحد أقربائك أو جيرانك و يسهل أن تراه في الشارع أو في أي تجمع عائلي . وهذا ما لا نراه في الوقت الحالي . فتجد النجم ينعم بكل شئ حتي تشعر أنه مليونير أجنبي وليس ممثل صاحب موهبة . و هذه الطبقة الجديدة التي إقتحمت كل المجالات تقريباً يغلب علي إنتاجها التكلف و عدم الواقعية .وهذا لا يعد تعميم .. من المؤكد أن هناك من لمع إسمهم

و هم ينتمون إلي تلك الطبقة (طبقة الكومباوند) ولكنه نجاح غير عادل لأنهم موجودين في بيئة الكومباوند . المشاهد يطمح إلي هذا الطابع المعيشي و المنتج يجد تلك المواضيع و هؤلاء الممثليين _ الذين درسوا في إنجلترا و يتكلمون الانجليزية بطلاقة _ يروقون للجمهور و لصناع الأزمة أيضاً . و لذلك تجدهم وقود أي عمل فني في مصر . و تكمن المشكلة في أن السياسة الخاطئة أصبحت تطبقها وسائل الإعلام في البحث عن اصحاب الأفكار و ذلك الأمر الذي تتشابه فيه مع تلك الطبقة من المبدعين و النتيجة النهائية هي أن هؤلاء هم صفوة الفنانين ولا يوجد غيرهم . فصفحات الجرائد و المجلات و المواقع و قنوات التلفاز لا تعرض إلا هؤلاء و المنتج يهرع إلي السيناريست الذي لا ينافسه في ذلك العمل إلا ست أشخاص تقريباً علي أرض المحروسة ليكتب له فيلماً عن البيت المصري و العائلة المصرية ثم يأتي بمخرج كومباوندياً أصيلاً ليخرج له هذا الفيلم ثم يختار طاقم الممثليين الذي يجيد معظمهم البكاء و الصراخ أحياناً . ثم تأتي النهاية بذلك الفتي النحيل الذي تزوج حبيبته ثم إغتني و أصبح مليونير و إقتني فيلا علي طريق مصر إسكندرية الصحراوي و بعد الفرح يسجن صاحبه الذي كان يعتبره أخاً له بعدما دبر له مكيدة إكتشفها هو بالصدفة ثم ينظر البطل إلي عدسة الكاميرا ليبكي متاثراً بتلك الموسيقي التي عزفت من خلفه أو ذلك المغني الذي يتكلم عن غدر الصحاب و كم أن الوحدة شئ عظيم و ما إلي ذلك

لم تعد تلك المرأة أمي

كثيراً ما يسطو نيتشة علي تفكيري ليجعلني أفكر فيما تحمله إنسانيتنا من نيتشتوية . و للأسف أري نفسي أغير السؤال ليكون مدي ما تحمله نيتشويتنا من إنسانية . فقراء نيشتة في أنحاء العالم المترامي يعلمون أننا نسكن عالم نيشتوي البناء قائم على سياسة الصراع و التضاد و أيدولوجية مراكمة القوة هي الفكرة السائدة لدي الجميع . و في المقال الذي كنت أتحدث فيه عن الأقباط في مصر ذكرت التعامل النيتشوي مع أقباط مصر في طلما أنهم ضعفاء فيجب إستغلالهم و معاملتهم ككتلة واحدة مجتمعة . فالدولة لا تتكون من مسلمين و أقباط بل تتكون من مسلمين يمثلون أغلبية و هذا ما يجعلهم أقوياء و المسيحيين يمثلون قلة دينية و لذلك فهم ضعفاء لأنهم أقل عدداً

من المؤكد أنك تري نزع قيمة الإنسان و إضفاء صورة الصراع علي موضوع في غاية البساطة . فقد يسري هذا الكلام في حالة الحرب أما في حالة السلم فالأمر يختلف . و كذلك يبدو نزع الإنسان و قيمته من خلال الحديث عن هؤلاء أغلبية و هؤلاء أقلية . فلا حاجة للقيمة الإنسانية التراحمية الودودة ما دمت أغلبية قوية تستطيع قهر الجميع . و أيضاً لا

حاجة إلي كل هذا الهراء ما دمت تنتمي إلي أحد الأقليات الضعيفة فأنت فريسة لكل الأغلبيات المحيطة و الجميع يريد الفتك بك حالاً . وكل هذا الهراء النيتشوي في النهاية سيجعل الإنسان في كلا الطبقتين يسلك طريقاً نيتشوياً للأسف . فيراكم القوة و يتغذي جيداً و يعمل علي تحسين الحالة البدنية و العضلية لديه ، و لما لا في أن يقتني سلاحاً يتزود به إذا هاجمه أغلبياً . كل هذا يأتي علي حساب الجانب الروحي في الإنسان لتذوب القيمة الإنسانية و تتبخر في الهواء لتسود قوانين الصراع و الشك و إعلاء الناحية الجسدية و مراكمة القوة و حساب الأمور من خلال القوة و الضعف .

لنعود من جديد إلي ما تحمله إنسانيتنا من نيتشتوية . جميع الثنائيات لابد أن يتم تحويلها من منظور نيتشوي . فالخير و الشر ليسوا متضادين و ليس هذا حلال و هذا حرام و لا هذا نافع و ذاك غير نافع . و إنما الإثنان ثنائية صلبة لابد من صراعهم سوياً لإنتاج مزيد من القوة . و من خلال هذا المنظور فالشخص الملتزم بأمور الدين أو الأخلاق شخص ضعيف لا يقدر علي الصراع و لذلك يختفي هذا الشخص ليحل مكانه شخص آخر أكثر مرونة و تفرد يمكن أن يتدين في بعض الأوقات و لكنه تدين ظاهري بعيداً عن الحياة العامة و عن التفاصيل المهمة . فهو كائن رخو شديد المرونة و يتكيف مع كل شئ في وقت واحد فيصلي ثم يشرب البيبسي و يأكل الكنتاكي و يستهلك ما يتقاضاه في إستهلاك سلع كمالية و يرتدي أحداث صيحات الجينز و التيشرت و لا مانع من أن يصفف شعره علي الطريقة الأمريكية . و لا مانع من أن يصادق البنات و يجالسهن علي الطريقة الغربية . و في المساء ينزل إلي الصالة الرياضية ليبني عضلات جسده . و يشاهد أحياناً الافلام الأجنبية . و في كثيراً من الأوقات يقتله الضجر فيكف عن الصلاة و ينغمس في موجة

عاتية من المحرمات كشرب الخمر أو الزنا او تناول المخدرات لفترة قصيرة و لكنه سريعاً ما يعود إلي تدينه الزائف من جديد . و هناك نموذج مشابه لهذا النموذج وهو الشخص المتدين تدين حقيقي و لكنه لا يخلو من مرونة . فتجده يقرأ و يبحث ليراكم المعلومة و يكسب مزيد من القوة و هذا ما يؤهله للدخول في صراعات مع أشخاص محدودة التدين أو ملحدين أو كفار أو ما شابه . فالغرض من التدين ليس الزهد و النقاء و التعمق في فهم الإنسان و الكون و الازدياد من ذلك . و إنما الدخول في صراعات و مناظرات و مشادات لا تؤدي إلي شئ نافع إلا إفراز مزيد من القوة . و كذلك ثنائية تمثل أهمية عالمية و مصرية ألا وهي ثنائية الرجل و المرأة . و كما إتفقنا أن الإثنان كلاهما في حالة حرب مع الآخر من أجل إعلاء راية أحدهما .. من أجل ماذا ؟ من أجل مراكمة القوة و ترشيد و تبسيط الإنسان و نزع القيمة منه . فالرجل قوي لأنه صاحب قوة بدنية و بناء عضلي صلب و الطبيعة أيضاً جعلته هو من يقود الحياة و الدين كذلك . و وظيفة المرأة أن تثور علي الدين و الطبيعة و كل القيم من أجل إعلاء ذاتها أو بمعني أصح من أجل أن تتكافئ المنافسة . فكل شئ يتحين الفرصة إلي الإجهاز علي المرأة و لذلك عليها التسلح أمام كل تلك الأخطار . فلابد أن تتعلم حتي تتسلح بهذا العلم في مواجهة الرجل ، و أن تعمل من أجل أن تكسب المال الذي يجعلها تواجه الرجل و ألا تكون في حاجة إليه .كما أنها يمكن أن تثقل الجانب البدني في صالة الألعاب الرياضية حتي تتزود بالقوة . و ألا تتزوج حتي لا تصير عبداً لمهام المنزل و أوامر الرجل .و ألا تنجب حتي لا تضعفها غريزة الأمومة و يستغل الرجل ذلك الأمر لصالحه . و إن تتحرر من أي قيم أخلاقية أو عائلية حتي تكون مستقلة في صراعها مع الرجل كاملة العتاد و السلاح . و في النهاية .. لا يوجد صراع ...

لقد أستنزف الطرفان و لم يخسر في تلك الرحلة إلا الإنسان . فيصبح المنزل بتلك الصورة . الأب قوي و ينفق و الأم ضعيفة لا تنفق و لكنها تحاول الفكاك من تلك العقدة و الإبن يشعر بالضعف تجاه نفوذ الأب و لذلك لابد من أن يتسقل بذاته . وهنا يثور السؤال الطبيعي . أين القيمة الإنسانية و الأخلاقية التي ستتولد في تلك البيئة الفاسدة ؟ بالطبع لن تتولد أي قيم إلا قيم الوحدانية الإنسانية و التفرد و مراكمة القوة . فالإنسان متفرد و لكن ذلك التفرد تنعدم جدواه إذا تحول العالم إلي حلقة مفرغة ليس لها معني او قيمة يفقد فيها الإنسان قيمته و معني وجوده . و من الأمثة علي ذلك . الصراع بين فلسطين و الكيان الصهيوني علي أرض فلسطين . فالكيان يملك القوة و لذلك فهو الأحق بالأرض بعيداً عن أي قيم إنسانية . و الحياة في الدول الشمولية تسري بتلك الطرق حتي بعد الجرائم الدموية و المذابح . فيسري هذا النموذج . فهؤلاء غير خاصعين فيجب إبادتهم و تطهير البلاد منهم و هؤلاء خاصعين تماماً فيجب تدليلهم و كما تري الآن في دولة مثل سوريا الامور تسير و كأن دماً لم يراق الحياة تسير طبيعية و كل المجالات تعمل الأساسي منها و الرفاهي . وهذه هي حياتنا و مازال لنيتشة ما لم يقدمه لدينا

A man of action

أعترف أني أحد ضحايا وحدانية الفكرة . بمعني أني أعتقد أن الأمر الذي أفكر فيه هو لي وحدي لا يروق إلي أحد غيري و لا يطرق إلا رأسي . و بالطبع مع الوقت تأكد خطأي و جهلي .

فيلم (A man of action) فيلم عبقري يستحق أرفع الأوسمة . فهو فيلم متكامل من حيث القصة و الإخراج و التمثيل و إختيار الممثلين كذلك . فكل ممثل في مكانه المناسب . حتي تشعر أثناء مشاهدة الفيلم أن الأبطال يملئون غرفتك و يخططون و يتضاحكون . و بمجرد أن ينتهي الفيلم تستيقظ من ذلك الوهم و تشعر بتلك النشوة تسري في جسدك فتشعله حماسة. بالطبع شاهدته أكثر من مرة و شخصياته قد حفرت في ذهني إلي الأبد .و لكن اكثر ما أعجبني في الفيلم هو فكرة الفيلم و خاصةً أنها كانت تدور في رأسي كثيراً . فبعد جولة في فلسفات عصر الحداثة و ما بعد الحداثة و الفلسفة المادية . وجدت أن الحل هو ذلك الحل الذي سلكه بطل الفيلم (لوسيو أورتوبيا) و (كيكو ساباتا) من قبله .ألا وهو مواجهة القوة بالقوة بمختلف أشكالها و وسائلها . فكم من حسن الحظ أن تشاهد الفكرة التي تفكر فيها كثيراً في فيلم و تشاهده من

قبيل الصدفة . فمن المؤكد أن الحلول لا يمكن أن تكون بعيدة عن ذلك المحور المهم . ألا وهو النظام العالمي للحكم و الرأسمالية الفاشية و المال السياسي . فلابد أن يعلم الجميع أن العالم يحكم من خلال قيم فاسدة . مثل العولمة و الإمبريالية و الفاشية و المادية و الرأسمالية . و لذلك لابد من أن نسير علي نهج لوسيو أورتوبيا من خلال التمرد علي الدولة و السلطة و المال و المدينة . فكلها منتجات مادية مرتبطة ببعضها البعض بديناميكية ما ولابد الثورة عليها جميعاً و الاجهاز عليها جملةً واحدة . و أكثر ما أعجبني في الفيلم أنه لم يأخذ منحي هيبيزي ليصبح التمرد تمرد عام علي الحياة بكل صورها و مكوناتها بما فيها الإنسان . ولذلك خرج بهذه الجودة الفائقة الروعة . و أعجبتني أيضاً تلك النظرة العادلة التي تجسدت في تلك المقولة العبقرية التي بدأ الفيلم بها

" سرقة المصرف جريمة .. لكن تأسيسه جريمة أشنع "

ولكن للأسف في النهاية يوقظك موظق البنك الأمريكي الصارم بقوله الذي لا يخلو من منطق

" تفوز سلطة المال دوماً "

و بتلك المقولة ينتهي هذا الفيلم العظيم الذي أنتجته منصة (Netflix)

و المأخوذ عن قصة المناضل اللاسلطوي (لوسيو أورتوبيا) الذي توفي في يوليو من عام ٢٠٢٠ ..

عن حارة نجيب محفوظ

تذكرت الآن خطواتي الأولي في حارة نجيب محفوظ . كم كنت أحمقاً لا يعي شيئاً . إجتزت طريقي بين المقاهي العتيقة و تهاويل الأرابيسك البارعة . والمآذن الشامخة و المساجد العملاقة المزدانة بالنقوش الاسلامية القديمة . و الفتوات و الحرافيش و صراخ الاطفال و عويل النساء بجوار الحمامات . كنت غريباً و كان الجميع يرمقني بتأفف وحرص . كانت تلك الفترة فريدة من نوعها . لم يكن نجيب محفوظ عبقري الرواية العربية يروق لي في تلك الفترة . كنت حديث العهد بهذا العالم . لذلك كان الأمر شديد الصعوبة و التعقيد و لكن سريعاً ما تلاشت تلك الصعوبة . بدأت أفهم شخصية نجيب محفوظ و نشأته و فكره بشكل عام . بدأت أفهم ما يقصد من جمل معينة و ما يريد أن يقول بين السطور . فزالت هذه الهالة و أصبح الأمر في غاية الإنسيابية و المتعة .

... و المثير للإعجاب في مسيرة ذلك العبقري هي نشأته العبقرية . فمن يتتبع خطاه الأولي في الحياة سيعلم أن العبقرية كانت نهاية حتمية .لظروف عبقرية إجتمعت مع موهبة إستثنائية و بيئة محيطة خلاقة بالاضافة إلي عقل فذ . كل ذلك أدي في النهاية إلي نجيب محفوظ . فمن

يقرأ حكايات حارتنا سيري تلك القصص العجيبة التي عاصرها و هو طفل و رآها رؤي العين . و كذلك من قرأ أحلام فترة النقاهة سيري الحبكات المذهلة و الاحلام المركبة العجيبة التي كان يحلم بها نجيب محفوظ . بالطبع لا أقول أن نجيب محفوظ لم يكن مسؤول عما كتب . بالطبع أنا لست بتلك البلاهة . ولكني أتعجب من كرم و عظمة الخالق عندما يهب شخصاً بجوار الموهبة ، كنز من الذكريات و المواقف و القصص الخلابة والعجيبة بالاضافة إلي طبيعة المكان التي تأثر بها نجيب محفوظ حتي الثمالة . فكل هذه الأمور مجتمعة كيف لا تنتهي بميلاد عبقري فذ الموهبة . زد علي ذلك الإجتهاد و المثابرة و الجلد التي كان يتحلي بها نجيب محفوظ . فكان قارئاً نهماً متطلعا رشيد العقل . وقد ظهر ذلك في كتاباته التي شابها تطور مذهل . و من يقرأ أعمال نجيب محفوظ بتسلسلها الزمني سيري حجم التطور التقني و اللغوي و النضوج الفكري و إتساع المدارك . فكما كان نجيب محفوظ كاتباً إستثنائياً كان أيضاً شخصاً علي مستوي عالي من الإلتزام و الإحترافية . بالطبع لن أتحدث عن أعمال نجيب محفوظ الكاملة حتي لا يمتد بنا الوقت و الملل . و لكني أردت أن اؤكد أن حارة نجيب محفوظ هي أفضل الأماكن التي قررت أن أزورها مختاراً غير مجبور علي شئ . تلك الحارة التي يتمثل فيها الإنسان بصورته الحقيقية . تلك الصورة التي تحمل في طياتها قيم الخير و الشر.. الحب و الضغينة.. التمرد و الرشاد .. التدبر و التهور . يعلم فيها الفقير أن لا محالة من الضياع و الإستسلام تحت وطأة الأيام . ولكنه في غمرة الأيام العابثة ينتصر و ترتفع رايته إلي أعلي هامات السماء . ولكنه بطابعه البشري الاهوج ، سريعاً ما يسحره الشيطان و يقيده فيتهاوي إلي قاع بئرٍ سحيقة من العربدة و الضياع . و يعلم فيها الغني القوي أنه قد لا يكون هو رجل الغد فلذلك و بكل بلاهة يسلم نفسه لهمزات الشيطان فيكون عبداً لملذاته و شهواته . و تلك الخطوة التي للأسف لن تجعله رجل الغد . لأن الغد

ليس في أيدي ضعيفي الأنفس . تلك الحارة التي تمتزج فيها كل ألوان الحياة . قد تنشب أمامك معركة دامية يتناثر منها الضحايا . ثم تقطعها جنازة أحد الرجال فيهمهم الجميع ب " كلنا لها " . ثم في المساء الضبابي يخرج من العدم فتى نحيلاً يطمح إلي الفتونة و بضربة نبوت قد يتولي كل شئ و يصفق له الجميع و ترفعه أكتاف الحرافيش التي تطمح لأيام هانئة ، و يتحاشاه الأعيان حتي يعلموا مطالبه . تلك هي الحياة في حارة نجيب محفوظ بإيقاعها السريع الذي ينسي جميع من فيها أن " آفة حارتنا هي النسيان " و لذلك تدور تلك الدورة بلا هوادة و بلا رغبة في التغيير و بلا أمل في شكل آخر من الحياة . لأن الإنسان هو الانسان لن يتبدل و لن يمحو نقائصه زحف الليل وراء النهار و تسارع الأيام .... مهما حدث .

إنها الحنجرة يا أخي

في تلك الأعوام الذهبية التي سبقت ثورة الخامس و العشرين من يناير كانت تلك الفترة مزهوة بشباب حر بدأ يعلم أين العدو و كيفية الإطاحة به . و في تلك الأثناء بدأ ظهور فرق الموسيقي المستقلة في الاسكندرية و القاهرة و غيرهم من المحافظات . و كانوا معظمهم يلعبون الموسيقي الروك و يغنون أغاني تتسم بالردءاة وهذا ما ميزهم .

فالشباب في تلك الفترة كان يريد الحديث و الهتاف و الصراخ و التفاعل و إخراج الطاقة ... و لذلك إتجه إلي هذا النوع من المزيكا . فلا يهم الجودة طلما الأغنية صادقة و تعبر عن ألم حقيقي . و لا يهم جمال الصوت مادام الواقع ليس جميلاً بالشكل الكافي . فلا يهم في الموضوع سوي الحالة . فالشباب أخيراً يخرج ما بداخله و يفرغه في صورة أغاني . و لا يهم أي شئ بعد ذلك . و من أمثلة تلك الفرق التي ظهرت في تلك الفترة (وسط البلد _ كايروكي _ مسار إجباري _ صوت في الزحمة) بالطبع هناك العديد من الفرق المستقلة الجديد منها و القديم ولكن هذه هي أشهرها . و تلك الفرق بعد الثورة كانت هي صوت الشعب الحقيقي الذي لا يتلون بالمساحيق . و لا يلعب علي حبال الجمهور . ولا يتودد إلي السلطة و الحكام . فهو يخرج ما بداخله علي الورق ثم يلحنه بمساعدة رفقائه ويغنيه في أي مكان . في الشارع أو علي الرصيف أو

في منزل أحدهم . بعيداً عن بهرجة قنوات التلفاز و عدسات الكاميرا . و كانت هذه الخطوة لمن عاصرها خطوة فارقة نحو الثورة . فبدأ الشباب الغارق في لون موسيقي عتيق تقليدي _ يتأرجح بين الأغاني الرومانسية و الوطنية و الأغاني السخيفة _ يتغير . فبدأت العيون تتجه نحو هذا اللون الموسيقي الصاخب المتمرد الصادق الذي يناقش مشاكل الشباب من خلال شباب يعاني نفس المشاكل . فلا حاجة لجيل العجائز حتي ينظر و يتفلسف . فصاحب المشكلة يغني و يتلقاها المستمع الذي يعاني نفس المشكلة . الأمر في غاية البساطة . و لكن يبقي السؤال .. أين هذه الفرق الآن ؟ بالطبع مازالت موجودة و لكن ليس بنفس بريق تلك السنوات . و يرجع ذلك إلي تغير الظروف و البيئة التي نشأت فيها . فالوضع الآن شديد السوء و الصورة شديدة القتامة . و لكني أري عظمة الطبيعة التي تخلق من العدم أشياء و أفكار غريبة . قد تنجح في التغيير و تحويل دفة الحوار إلي إتجاه آخر أكثر وضوحاً . وهذا ما أعد به الجميع . لابد أن تنجلي تلك السحابة و أتوسل إليك لا تفكر في حلول ولا تجهد نفسك ..

إنها الطبيعة يا أخي ... أصمت و أستمتع بكلمات الفاجومي ...

" بلدنا تبقي إنهاردة حاجة

طو بكرة حتماً هتبقي حاجة .. "

عن الشذوذ الجنسي و منظومة
اللذة الحداثية

كثيراً ما كنت أتساءل في قرارة نفسي . ما العلاقة بين مباراة كرة قدم و ظاهرة شاذة كالمثلية الجنسية ولماذا تتلون تفاصيل صغيرة في ملاعب كرة القدم بشعار المثلية. ولماذا تقوم الفرق الرياضية كلها بمزج شعار فريقهم بألوان قوس قزح التي تشير إلي مجتمع المثليين جنسياً بالطبع وجدت الإجابة ولكنها كانت معقدة للغاية . وفهمت لعبة المسميات و الإختزال العلماني التي يجيدونها ، و التي أرتكبها أنا الآن للاسف حينما أصفهم بالمثليين جنسياً. ولكن (why not) لنكمل مقالنا ..

بعد عصر ما بعد الحداثة و إقرار سياسات النظام العالمي الجديد التي نعلم جميعاً أن كلها نابعة من الفلسفة المادية للوجود الإنساني . و سياسة المصنع وقانون الطبيعة الصارم . و كان من أهم أركان عملية تحويل العالم إلي سوق تتحكم فيه قوانين العرض و الطلب و الثمن . بل و تحل محل القيم الأخلاقية و الدينية . و مع مرور الوقت في هذا الطريق ستنتهي القيم الميتافيزيقية لأنها لا يمكن أن تخضع لقانون المادة و كذلك القيم الأخلاقية أو الدينية او التراثية ....إلخ لأنها ليست من أصل مادي و لذلك فقد تعيق عالم المادة و هستريا الإنتاج و الإستهلاك . فالعالم لابد

أن يكون عبارة عن سوق . مادي صارم صلب في أحكامه أما عن المتلقي فلابد أن يتحلي بمرونة حتمية ، سيكتسبها عنواً او بشكل أوضح بلا إحساس بشئ . فتتسلل إليه من خلال التربية و التعليم و المحاكاة و مراكمة التجارب . لتصبح هي تكوينه كلياً وليست جزءاً من تكوينه لأن هذا هو الطابع الوحيد الموجود و الذي إذا حوله سيعيق سير حياته . وبهذا نصل في النهاية إلي الإنسان الموجود حالياً ألا وهو (الإنسان المادي) أو أمنحه أنا لقب (الإنسان الخاضع للمدينة) . وحتي يتحقق ذلك لابد من القضاء علي العائلة بمسماها الأخلاقي او التقليدي أو الديني أو الإجتماعي السوي . فلابد من تضخيم نزعة الشك لدي الجميع . و تقليص دور الإنسان في كبح جماح شهواته . و الإعلاء من نغمة الإستقلال سواء للرجل أو المرأة أو الطفل . وكل هذا يمكن أن يحدث من خلال سياسة التفكيك و الإختزال . فالعائلة بشكلها التقليدي تقريباً تلاشي وجودها من الغرب منذ عقود و عقود والقادم أسوأ . فالعائلة في الغرب فقدت دورها عنواً وخضع الجميع تحت وطأة الضغط الرأسمالي في كل بقاع الأرض . و هذا يرجع إلى تفكيك قيم الأسرة و تفكيك منظومة الزواج بشكل عام ومن ثم إختزالها في قيم مادية يمكن إشباعها بطريقة مادية تبرز النزعة الوحدانية لدي الفرد . فالزواج يتكون من جنس و إنجاب و معاشرة و مساكنة و مشاركة الإهتمامات . ثم تم تفكيك تلك القيم أيضاً مرة ثانية و إختزالها في قيم مادية حيوانية لا يوجد للإنسان الالهي دور فيها . فالجنس يتضمن اللذة فقط . لا يوجد أي دور مجتمعي أو ديني أو ميتافيزيقي . أما عن اللذة فيمكن تفكيكها أيضا إلي فروع عديدة حسب رغبة الإنسان . فيمكن أن تكمن لذتك في رجل أو طفل او طفلة او عجوز أو إمرأة أو إمرأة عجوزة او حيوان أو يمكن أن تعاشر نفسك جنسياً بطرق مختلفة . و هذه العلاقات البسيطة العابرة الحيوانية لا تلزم أي الطرفين بأي عقد إجتماعي او ديني أو اخلاقي .

فهي مادية صارمة في جوهرها . بسيطة و مفهومة و تعاقدية في ظاهرها .

و ما يجعل تلك العلاقة تدوم بلا ألم نفسي أو ندم او ما شابه . هو الانسان المادي المعاصر . فهو أصبح وقود نفسه . فالعالم مادي بكل ما يحويه بداخله . بسيط و صارم و لا يحتاج أي مجهود لفهمه . و لذلك يحيا الإنسان المادي في سلام نفسي نابع من داخله ومن العالم المادي الرأسمالي من حوله . و لكن لنوضح . هذا الداخل إذا دققت النظر فيه . ستجده بلا قيم دينية أو قيم أخلاقية أو قيم إجتماعية او قيم بشرية . وبلا أي ذرة يقين ميتافيزيقي . فهو إنسان شكاك مادي متفرد . يستهلك كل ما يحتاجه بلا أي مرجعية ، و يشبع رغباته أياً كان نوعها . و يكبح شهواته أياً كان موضوع اللذة . فالحصول علي اللذة هو الغرض من تلك العملية . ولذلك كله لابد أن يحارب النظام الرأسمالي و الكتلة العالمية التي تحكم العالم أي محاولات للمساس بهذه القضية الشاذة . فهي تعبر عن الحرية الجنسية في عالم منعدم القيم . فذلك الإنسان الغربي المتمدين المادي بالطبع هو إنسان يجهل معني الحياة و لكن في عالم لا يهمه أي معني.

.. و موجة الشذوذ الجنسي لم تبدأ مؤخراً فقط بل بدأ ظهورها الكاسح في تسعينات القرن الماضي . ولكني أري تأثيرها في تلك الحقبة الحالية يزداد و يستفحل بالنسبة للكتلة الشرقية العربية المسلمة . التي تعتبر مصر جزءاً منها. و يرجع ذلك إلي الإستقطاب الرهيب الذي تتعرض له الدول التابعة و منها مصر خاصاً بعد الثورة التكنولوجية و شبكة

الإنترنت و الذكاء الصناعي و الهواتف الذكية . كل ذلك جعل القومية العرقية او التراثية او الدينية تتآكل وتفقد قيمها و سماتها التي كانت تميزها . فأصبح المنتج الغربي نتيجة ذلك التطور المعلوماتي عابر للقارات جغرافياً وثقافياً . فملابس الشاب الأمريكي يرتديها الشاب العربي و الشاب اللاتيني و الشاب الأفغانستاني . أو كما سماها د . عبد الوهاب المسيري (ثقافة الماكدونالد) فهي وجبة ليس لها أصل تاريخي . عابرة لكل القارات و تملئ فروعها كل بقاع الأرض بإختلاف ثقافاتها . و هذا ما أخشاه أن يتأثر شرقنا الذي يقف بين كل ذلك بلا هوية معروفة . و ثقافة التأجنب تتسلل بطريقة مباشرةً و غير مباشرة بين الأوساط المتوسطة و الفقيرة و المثقفة من الشعب العربي . فالعامل البسيط الذي لا يعير أي شئ إهتمام إلا عمله الذي يكد من أجله . يرتدي الجينز و الكوتش بكل بساطة و إنسيابية . أما عن الشباب فأصبح يبحث عن كل ما هو غربي. و لكن يبقي السؤال هل يمكن أن يتسلل الشذوذ الجنسي بين أفراد الشعب العربي ليأتي علينا يوماً ما نطالب فيه بالحرية الجنسية و التطبيع مع الأمر وهكذا ؟ .. بالطبع نعم .. فأنا أري جيل جديد صاعد يعاني الإنسحاق و بشدة . يتناول وجبة الإفطار في ماكدونالد و يتجرع علبة الكوكاكولا بعد الظهيرة و يشرب شاي الخامسة علي الطريقة الأنجليزية .و يسمع بوب مارلي و بينك فلويد دون أن يفهم حرف واحد . و يشاهد قبل النوم مسلسل أمريكي كوميدي و يصرخ ضاحكاً كل ثلاث ثواني بلا أدني فهم أيضاً . بالطبع لست مبالغاً في الأمر . فأنا أري هذا الشخص الآن و هو في طور التكوين . و قد يعلن في المستقبل عن نظرته بعيدة المدي لظاهرة المثلية الجنسية علي أنها دواء لكل من يعاني الكبت او الظلم الإجتماعي او التوتر أمام الجنس الآخر أو الصداع النصفي أو الزائدة الدودية .. لما لا ؟ ..

بالطبع لست في عبثية صموئيل بيكت و لا في عدمية ألبير كامو و لست في تمرد نيتشة او شوبنهاور . ولا في تفكيكية جاك دريدا . حتي أعلنها صريحة أن الوضع إذا سار علي نفس هذه الوتيرة ، لابد أن تغزونا الأمراض الشاذة بكل أنواعها و سيتطور الأمر إذا لم نطيح بحكامنا الذين يطعمونا اصابع البطاطس المقرمشة و قطع البرجر الشهي بأيديهم الضحلة . و ينصحونا دوماً بتجرع أكواب الكوكا كل صباح و شرب شاي الخامسة و إطلاق شعر الوجه و إرتداء الملابس الرثة من باب التأجنب و التمظهر بالإنتماء للهيبز .

قبل النـهاية

كم كنا أغبياء .

لا أعلم ما الذي جعلني أشعر وقتها بأنهم لن يتركوا الأمر برمته للشعب . ليرحل منهم من سيرحل و يحاكم منهم من سيحاكم و يعاقب منهم من سيعاقب . كنت أنتظر النهاية مقهوراً كمن ينتظر الموت بعد إصابته بسرطان المخ المميت . إنها حتمية الإنتظار بلا أي وقود للإنتظار سوي الفضول لمشاهدة إسدال الستار علي حقبة ما قبل النهاية . لينفرج الستار علي مشهد النهاية الجنائزي القاسي . ثم بعد ذلك ..

لا شئ ...

وتلك هي حياتنا الآن .. نعيش في مشهد عبثي قاسي . الجميع يتأرجح بين حرمة الإنتحار و حتمية الإنتظار . أياً كانت حالة المنتظر . فنهاية النفق مظلمة ولا شئ ينبأ بأي أمل ، سوي إيمان أعمي بأن هناك من سيخرجنا من ذلك النفق المظلم . إنه (جودو) المصريين . تلك الشخصية الوهمية التي رسمها بيكيت و صاغها ببراعة في مسرحيته الخالدة (في إنتظار جودو) . نحن نعيش الآن في حقبة إنتظار جودو المخلص الوهمي . الذي لم و لن يأتي أبداً . لأن جودو الذي يمثل الأمل القادم من العدم قد إنتهي و تبخر داخل كل مواطن مصري و لم يبقي

إلي الآن سوي ركام من الانهزامات و العثرات يطلق عليه البعض جودو . فقد مات الأمل بداخلنا فكيف سيأتي من العدم طلما مات بداخلنا جميعا؟

.. لم تكن الثورة وهم بل كانت حلماً حققه المصريون بإختلاف فئاتهم و طوائفهم . أما عن أمر نجاح الثورة و فشل الثورة فهذا هو الوهم الأكبر و الفقاعة التي يروق للجميع أن ينفخ فيها فتتضخم و تبتلع كل ما أمامها من منطق . فثورة الخامس و العشرين من يناير كانت حالة خاصة شهدها الشعب المصري . ولا يمكن الحكم عليها بنفس نمط نتيجة الثانوية العامة نجاح و فشل . فالأمر ليس بهذه البساطة . و لكن كما يعلم الجميع فنحن قوم نحب الأجوبة و نعشقها . لا نريد تحليل الأمر من كل الجهات للخروج بحقائق صائبة . بل يمكن أن ننعتها بالنجاح لأنها أطاحت بحسني مبارك أو الفشل لأنها جاءت بالنظام الحالي .و لكن لنحلل الأمر قليلاً و نلقي نظرة علي فترة ما قبل الثورة . كان حسني مبارك يعلم هو و نظامه أنه يعاني و ان تلك السنوات تمثل النهاية لحقبة دامت ثلاثون عاماً لم يتزحزح فيهم لحظة عن كرسي الحكم . ولذلك . تسربت الأوامر إلي الإعلام النظامي كالعادة و بدأت الأبواق تبشر بمجئ أحد الشباب المتحمس النقي الشفاف واسع الادراك جليِ النظرة ، الذي يطمح في ممارسة حقه السياسي في تولي أمور الحكم . وهذا الشاب يدعي

(علاء مبارك) بالطبع ليس توريث . و لكنه يمثل إشراك القوة الشبابية المتحمسة في عملية صنع القرار . و لكن ذلك الأمر لم يعجب الشعب الثائر الذي يري أمامه الإبن المتطلع نحو كرسي الحكم الذي لا يملك أي شئ يؤهله من شغل هذا المنصب سوي أنه إبن الرئيس في دولة شمولية فاسدة . و كذلك لم يعجب ذلك الأمر الجيش الذي كان يخشي ان

يتلوث كرسي الحكم بالسلالة المدنية الفاسدة . ومن ثم بدأت خطوات النظام العميق في نظام مبارك بالانقلاب عليه . وعاد الإعلام يلعب لعبته من جديد بتهيأة الشعب المصري إلي أمر ما ألا وهو محاكاة ما حدث في تونس . و جميع أفراد الشعب وقتها كان يعلم بأن الأمر سيتكرر في مصر و الاعلام نجح في تهيأة المشهد لحدوث ثورة . و بالطبع قامت الثورة دون أي تدخل عسكري من الجيش الذي كان يمكن و بكل سهولة أن يحبط تلك المحاولات . أو أن يترك الشباب يدخل إلي ميدان التحرير ليفتح النار عليهم كما حدث في مجزرة رابعة العدوية و بكل بساطة . ولكن الأمر لم يسير بتلك الطريقة . وبدأ رجال مبارك يتصرف كل منهم علي حسب أسلوبه ولكن كلها محاولات باءت بالفشل ، مثل معركة الجمال التي دارت داخل ميدان التحرير وفي وضح النهار أو إخراج البلطجية و الجنائيين من السجون للقضاء علي شباب الميدان . و بات مبارك بعد ذلك في موقف عصيب لا ينبئ بأي أمل في البقاء أو التوريث . وفي النهاية إنتهي مبارك...

و بدأ الإعلام يهلل بنجاح الثورة المجيدة التي قضت علي النظام الشمولي الفاشي الذي كان يقتل الآلاف كل دقيقة و يعذب المواطنين ليلاً نهاراً ويفرض الإتاوات و الضرائب و يختصب النساء و يذبح الاطفال و يشرب دمائهم بعد أن يضيف لها القليل من اللبن مع شرائح الموز و الفراولة . ثم خرجت علينا بعض شخصيات كانت غائبة عن المشهد لكي يصفوا لنا ما كانوا يلقون من عذاب و ذل في حقبة مبارك . الجميع كان يتكلم حتي بات الحديث بلا قيمة . لقد تحول حسني مبارك إلي شيطان دون النظر إلي نظامه العميق الذي كان يدير البلاد و الإعلام

في تلك الآونة . و لكنها عادة النظام في خلط الأوراق . و في تلك الفترة تولت المؤسسة العسكرية مقاليد الحكم إلي حين إجراء إنتخابات رئاسية.

و نجح الجيش في تفتيت الكتلة الثورية و إمتصاص غضب و حماس الشعب المصري و إنهاكه في معارك فرعية . ثم قام بارتكاب أولي جرائمه الدموية في أحد أهم أعضاء الحراك في فترة ما قبل الثورة و الثورة و ما بعد الثورة . ألا وهم ألتراس أهلاوي . و كانت هي أولي خطوات الجيش في فرض سيطرته علي المشهد الذي سيكون الدم هو شعاره الوحيد في الإجهاز علي معارضيه و بكل قوة و عنف . ثم تولي محمد مرسي مقاليد الحكم في فترة مضطربة سياسياً و أمنياً . و عاد الإعلام من جديد ليلعب لعبته الأثيرة . ألا وهي تحريك الرأي العام و خلط الأوراق . فبدأ وجوه نظام مبارك ينتقدون حقبة محمد مرسي و يهاجمون كل قراراته و بكل ضراوة لينقلب الشعب عليه . و أخذت ترفع من نغمة الهجوم لتهيأ المشهد العام للإنقلاب علي الشرعية و الحياة السياسية في مصر . و حدث ذلك للأسف . و المشهد العبثي إكتمل أخيراً بأكذوبة ٣٠ يونيو . ثم بدأ الشعب يغوص في كوة سحيقة من الإنهيار . فبدأ القبض علي كل من يمثل أي تيار سياسي حقيقي موجود و البعض منهم فر هارباً خارج مصر . و بدأت موجة واسعة من الإعتقالات شملت كل عناصر جماعة الاخوان المسلمين و الرئيس محمد مرسي و كل معاونيه . و لذلك بات مشهد الإنقلاب جاهز و الشرعية الشعبية باتت تلفظ أنفاسها الأخيرة . و بدأ الجيش يمسك بتلابيب المسألة كلياً . فلم يبقي من رموز يناير أي أحد . و الرئيس المنتخب و حكومته تم القبض عليهم . أما عن الثورة المضادة و الغطاء الشعبي للإنقلاب . فهاهي ٣٠ يونيو . يتبقي أمامنا أمران في شدة الأهمية . الأمر الأول أن هناك أتباع

للرئيس مرسي أو للحكومة المنتخبة أو لثورة يناير أو رافضة للإنقلاب العسكري أو خائفة من المستقبل المظلم الخالي من أي حياة سياسية علي غرار حقبة ناصر . سمها كما شئت فكلها أوجه عديدة لعملة واحدة . هؤلاء الأتباع لابد التعامل معهم من خلال قوات الجيش و بكل قوة و عنف حتي يتم إحتواء المشهد كلياً . فبدأ الإسهال الدموي يضرب البلاد . مذابح بشعة و مجازر دموية في كل ميدان في ذلك البلد المنكوب . و فجأة تحولت مصر إلي أنهار تجري فيها دماء الشعب . ذلك الشعب الذي أدرك الحرية أياماً معدودة .. و لكنه حكم العسكر يا صديقي ...!

بالطبع أذيعت كل تلك المذابح الدموية أمام أعين الجميع . حتي يدرك الجميع النهاية إدراكاً صحيحاً . فالغد للخاضعين أما عن المتمردين فالقتل مسواهم . ثم بعد ذلك بدأ الإعلام يلعب لعبته المقززة ألا وهي تهيأة الطريق لذلك المنقذ الآتي من بعيد الذي أنقذنا من براثن الذئاب القاتلة الدنيئة . و هنا يكمن الأمر الثاني . فتلك البلاد التي أصابها الحزن في كل مكان . و أصبح الجميع يعاني الصدمة و الذهول . كان لابد له من عام أجازة يريح فيه أعصابه و يجفف دموعه و ينسي ما حدث أو حتي يتعايش مع الواقع ، أو يبصق علي الماضي الحر إعتقاداً منه بأنه كان خاطئاً في السير في ركاب الثائرين. و لذلك جاءوا لنا ب.

(عدلي منصور) ثم سارت الأيام بعد ذلك إلي ان وصلنا إلي ما نحن فيه ...

إذا سألتني الآن عن الثورة سأقول لك أنها كانت ثورة و ثورة حرة شارك فيها جميع فئات الشعب بعد أن طفح الكيل . لم تفشل و لم تنجح . لم نكن حينها أغبياء و لم نكن مغفلين و لم نكن أيضاً أذكياء . إنها

كانت مجرد إنتفاضة شعبية واسعة النطاق جاءت في توقيت و ظروف ساعدت في إشتعالها . ولكن الشعب للأسف لما يكن مهيأ إلي أن خلف عجيزة حسني مبارك التي تشعرك بالأسف نحوه و بالأبوة في بعض الأحيان مراكز قوة عميقة في ذلك النظام المعقد . مراكز تضم رجال الجيش و رجال أعمال كبار و مناصب ضخمة تمسك بخيوط اللعبة كلها . بالطبع الشعب قد ثار و لكن المواجهة مع الجيش الذي يتحكم في كل شئ تقريباً و يدعمه الخارج امر معقد و في غاية الصعوبة . فلا تنهك نفسك في تحديد هل نجحت الثورة أم باءت كل جهودها بالفشل القاطع . و لكن يكفيك أن تعلم أن النظام العسكري هو أبشع صور الحكم علي كوكب الأرض و الكواكب المحيطة . و أن تعلم أن ألا تعطي رأسك للإعلام في وقت الإطاحة بالأنظمة إلي أن تتم الإطاحة كاملة لتبدأ في الإطاحة بالإعلام نفسه . و أن تعلم أنه لا يوجد نظام شمولي ديكتاتوري بلا أبواق تمجده . فأغلق التلفاز ولا تبكي هكذا ..

التلوث التعليمي

من المؤكد أنه نوع جديد من التلوث ولكنه أكثر أنواع التلوث ضرراً . لا يقارن بما قد تناله أذنيك من تلوث سمعي بعد سماع مقطوعة مطولة من موسيقي الميتال الصاخبة . او ما قد تتعرض له عيناك من تلوث بصري حينما تري وضع الشوارع في الوقت الحالي و ماتعانيه من تكدس و زحام و محال تجارية في كل مكان . و لا يقارن كذلك بما قد يصطدم به جهازك التنفسي من تلوث هوائي إذا جازفت و إقتحمت أحد المواقف العامة الساعة الواحدة ظهراً . و لا يقارن أيضاً بما قد يتعرض له جهازك الهضمي من تلوث مائي إذا حاولت أن تسير علي نصيحة الأستاذة شيرين عبد الوهاب و أن تشرب من نيلها حرفياً . بالطبع ستعلم النتيجة المخزية و انت ممدد علي فراش أحد المستشفيات الحكومية .

.. أما عن التلوث التعليمي فهو أكثر الأنواع خطورة . فالجميع يعاني منه . الجميع يسمعه و لا يجد مفراً منه حتي يصيبنا جميعاً الصداع كسماعك لموسيقي الميتال . و الجميع يستنشقه يومياً في مواقف المواصلات العامة و في الشارع و في مكان العمل . و الجميع يشربه عنواً مع العلم بأنه مضر و لا يجدي كشربك لمياه النيل حرفياً علي رأي الأستاذة شيرين عبد الوهاب .

و المثير للإعجاب أن الجميع يجمع بأن المنظومة التعليمية في مصر فاشلة . و أن العملية التعليمية التي نتعرض إليها جميعاً غير مجدية . و أن الشخص المتعلم في مصر لا يساوي أي شئ علي جميع الأصعدة . فهو خنزير بشري يملك عقلاً خاوياً خاضعاً لا يمكنه من فهم أي شئ ، وهذا ما يجعله آلة مستعبدة بلهاء يمكن توظيفها في أي عملية مشبوهة . فيمكن وضعه في بيئة عمل هزلية أو في بيئة سياسية فاسدة و لا عقلانية او في بيئة معيشية ضحلة . فهو شخص لا يملك ما يمكنه من تغيير واقعه او فهم نفسه و بالتالي يتواءم مع أي نظام أياً كانت إستراتيجيته . فهو عبداً للفوضي و العشوائية . و في غضون فترة قليلة ، يتحول هذا الشخص إلي وقود هذا النظام الفوضوي المجنون . قس ذلك علي الشعب المصري بشكل عام . بالطبع الصورة الآن في غاية القتامة .

و أري ان العملية التعليمية في مصر تعاني الجنون للأسف . فكل عناصر العملية التعليمية من طالب و معلم و مدرسة و منهج دراسي كلها تعاني . فالمنهج الدراسي عقيم و يليق بدولة شمولية كمصر . فهو عبارة عن كتلة من الهراء لا يوجد للطالب او المعلم أي دور فيها . فالمعلم يقرأ هذا الهراء ثم يعرضه علي الطالب المسكين الذي بدوره يقوم بحفظه . فدور الطالب معدوم و غير موجود . فلا يمكن أن يناقش أو يجادل او يسأل او يوافق او يرفض . فذلك النشيد المقرر لحافظ إبراهيم لابد أن تحفظه المدرسة كلها عن ظهر قلب بلا فهم او إحساس أو ميل . فلا يوجد ما يعرف بأنك تريد قراءة شاعر أخر أو قصيدة آخري . بالطبع لا . و كذلك القصة التي تدرسها عام دراسي كامل لتحفظ أسئلة من نوع (متي ولد علي مبارك ؟ ماذا كان يرتدي أوليفر تويست ؟ و صف القلعة التي رآها راسيندبل ؟ و لماذا لم يكن طه حسين يبوح بآلام عينه لأمه ؟) بالطبع لا يمكن أن يقرأ الطالب ما يريد او ما يحب

. و حتي في تلك القصص المعلبة الحكومية لا يمكن سؤال الطالب عن رأيه في السياق القصصي للقصة او رأيه في الحبكة او رأيه في الشخصيات او رأيه في السرد القصصي او البناء اللغوي . بالطبع لا . فكلها أسئلة سطحية غير مجدية مقارناً بيوم مولد علي مبارك و كيف ولد طبيعي ام قيصري و شكل القلعة التي دخلها راسينديل و بما كان يحلم طه حسين في طفولته و ذكرياته أمام الترعة . فغياب المعني هو ما أدي بالتعليم المصري إلي تلك النقطة من الفشل و الإخفاق . فالطالب لا يعلم ماذا يفعل داخل المدرسة و كذلك المعلم . فالأول يرضي والديه و الثاني يعمل من أجل أن يجني مرتبه . فالطالب لا يستمتع بالعملية التعليمية لأنها شئ بلا معني و غير مجدي له . فهو لا يستفاد شئ و لا يطرأ عليه أي تطور . فالنظام لا يعطيه فرصة التطور و التعلم . وكذلك الطالب لا يملك ما يؤهله بأن يتطور و ينمي من مهاراته او هواياته . فالإنسان داخل المدرسة عقل آلي كذاكرة الكمبيوتر ، يتم إعطاءه معلومات غير مجدية و لن تؤدي به إلي أي شئ سوي إرضاء مدير المدرسة . و كذلك يتم نقل هذه المعلومات بطريقة خاطئة من خلال الإنزال من أعلي ، فالكتاب الدراسي كتاب مقدس لا يمكن مناقشته او تعديله او حتي فهم تفاصيله ، كأنه وحي نزل من عند الله ، يتجرعه الطالب ثم تستكمل العملية المجنونة . و يدرسه طوال العام الدراسي أيضاً بطريقة خاطئة من خلال الحفظ و التكرار ثم تأتي النهاية الخاطئة ألا وهي الإمتحانات بصورتها الخاطئة و اللامنطقية القائمة علي كل المراحل الخاطئة السابقة . و في النهاية يلتحق الطالب بكلية لا يحبها و لا يفهم لماذا إلتحق بها و لا يعلم ما الهدف من دخولها و ما هي إنعكاسات ذلك الأمر في المستقبل . و لكن الأمر قد إنتهي .لقد إعتاد الطالب و أصبح جاهل متعلم مغيب لا يعي شيئاً و لكنه إلتحق أخيراً بالمرحلة الجامعية و يمكن هتك أدميته كإنسان و وطأ عقله الذي ميزه الله به عن الحيوان لسنوات إضافية قادمة . صحيح .. بجملة الحديث عن الحيوان

.. قطتي بارعة الذكاء و أري فيها بذور الإبداع و العبقرية الفذة و الفكر الإستثنائي النقي . فهي تحفظ كل أناشيد حافظ إبراهيم و أحمد شوقي . و تعرف متي ولد علي مبارك و كيف ولد و إسم (الداية) التي جذبته من أطراف أصابعه و داهمت مؤخرته بكفيها . كما أنها تعرف وصف القلعة التي رآها راسينديل و تعرف عدد حجراتها و مداخلها و مخارجها .كما أنها تعلم ماذا كان يرتدي اوليفر تويست و لماذا لم يكن يشكو طه حسين آلامه لأمه .. يا لك من قط عبقري ...!

المواطن المصلحة

المواطن المصلحة بجانب أنه إختصار لعنوان المقال الأصلي الطويل للغاية و هو (عن دموية الصب في مصلحة المواطن و خازوق الانجازات الوردية) فهو يمكن أن يكون عنوان المرحلة او لقب الإنسان المصري في الوقت الحالي . فهو يعاني الصب في مصلحته بلا أدني رحمة ، و يولج بداخله خازوق الانجازات ليلاً نهاراً حتي باتت مأساة سليمان الحلبي نكتة تتناقلها الألسن من باب السخرية ، و يلهو بها الصغار و هم يتأرجحون في مرح علي خازوق الانجازات الرئاسية .

فمن بلاغة و حكمة النظام المصري الحالي أنه يعلم ما نعانيه و يحيا ما نقاسيه من امراض و أوبئة وفيروسات و حمي و عدوي و امراض مزمنة و إنفلونزا موسمية . فهو يعلم أننا نعاني ضعف البصر مما يجعلنا لا نري تلك الإنجازات المبهرة التي يشيب لها الولدان و تقشعر لها الأبدان . لذلك يملئ رؤوسنا بها بكل الوسائل و الطرق الممكنة حتي ندرك أنها بالفعل تصب كلها في مصلحتنا التي إنهارت من كثرة الصب . كما أن النظام أيضاً يعلم أننا نعاني من قصر النظر مما يجعلنا لا ندرك أهمية تلك الإنجازات التي سترفع من شأننا بين الأمم علي المدي الطويل . فقد تبدو الآن في الوقت الحالي غير مفهومة و عديمة الجدوي ، لكن مع مرور الوقت ستجد الإنجاز يتسلل إلي مصلحتك ليصب فيها بكل

هدوء . و ذلك هو الجهل الذي يعانيه الشعب فلا يري و لا يدرك إلا ما تحت قدمه . و هذا ما لا تتسم به الحكومة المصرية الرشيدة العاقلة التي تدرك كل شئ و أي شئ . و كذلك يعلم النظام أننا نعاني الإكتئاب و أن غريزة الحزن تعبث بنا دائماً بحكم أننا شعب يبكي في كل الأوقات تقريباً . لذلك . يهوي علي رؤوسنا بصور فخامته في كل مكان تقريباً لينتزع البسمة من صدورنا و يفرج همومنا و يجلو كئابتنا بطلته العامرة بالود و البشاشة و مظهره الجلي المفعم جمالاً و ملامحه الدقيقة و وجهه النقي البسام . ففي الشارع تتجاور صوره و تتكدس حتي يقتل بعضها الآخر . و في التلفاز لا يوجد إلا صورته حتي حفظنا ملامح سيادته نصير الغلابة معشوق الفقراء و الطبقة الكادحة . تلك هي حكمة و بلاغة و حنكة النظام المصري . ينتشلك من غياهب الحزن و الكآبة و الكسل ليلقي بك إلي جنة مصر الفارهة المفعمة حماسة و سعادة و تفاؤل ... وكذلك يعلم الرئيس أننا نعاني الحمي و نرتجف خوفاً عندما نشعر بالخطر علي مستقبل مصرنا الحبيبة ، و لكنه سريعاً ما يثلج صدورنا بخطاباته العبقرية التي تبدو هادئة و لكنها نارية شديدة تقصف قلوب الأعداء و تهدد سلامتهم و تجعلهم يبللون فراشهم ليلاً . تلك هي حكمة الرئيس المصري المبدع . و كذلك يعلم النظام المصري ما نعانيه من فقدان ذاكرة كلي يجعلنا ننسي في بعض الأحيان عدد وحجم الانجازات الرئاسية التي صبت في مصلحتنا في الفترة الأخيرة . و لذلك يغمرنا إنجازات في كل مكان حتي تشعر بأنك تعيش علي أرض السويد أو سويسرا او قطر . فهذا النظام يملك من الحكمة و رجاحة العقل ما يجعله قادر علي تذكيرك دائماً بما تحرزه الدولة المصرية من إنجازات . فلا يداهمه النسيان أبداً و لا يتسلل الضعف إلي ذاكرته . فهو يعلم متي صب الانجاز في مصلحة المواطن و كيف صب و بماذا شعر المواطن بعد عملية الصب و مني يمكن أن يصب إنجاز آخر دون أن يشعر المواطن

بأي ألم . يا لها من حكومة رشيدة عاقلة تعلم وظيفتها و تؤديها علي قدم و ساق .

كذلك يعلم النظام المصري أن المواطن المصري يعشق الترف و الإستهلاك و التبذير . لذلك تقوم الحكومة المصرية بقياس أساسيات و إحتياجات كل مواطن من خلال خبراء علي أعلي مستوي و تقنيات في غاية الحداثة و التقدم . و كل ذلك حتي تتساوي إحتياجات المواطن الأساسية مع ما يتقاضاه في نهاية الشهر . فلا مجال للتبذير و إتلاف النقود في أمور تافهة يمكن الإستغناء عنها . بإختصار تقوم الحكومة المصرية بمصادرة كل ما يزيد عن حاجتك و تدخره لك لتبني لك به كباري و طرق تسير عليها و يسير عليها أبناءك . و كذلك يعلم النظام المصري خطورة أصناف غذائية بعينها كاللحوم و الأسماك و غيرها من الأصناف التي قد تصيب المواطن المصري صاحب المصلحة المهترءة بأمراض قاتلة كالنقرس و القولون العصبي و القلب و تصلب الشرايين و السمنة المفرطة .لذلك و بكل حنكة يمنع النظام المصري هذه الأصناف بصورة مباشرة و غير مباشرة . فهو يجعل سعرها صعب المنال إلا علي تجار الآثار من جانب وكذلك لا يعطيك أي نقود لهذه التفاهات و الأشياء الغير الأساسية من جانب أخر. كما ان الشرط الأول يحفز علي تبادل الآثار القديمة و إستكشاف الحضارات الآخري وهكذا.

بالطبع لن أغير هذا العنوان الصغير الخفيف علي اللسان بذاك العنوان الضخم الذي يثير حنق الحكومة المصرية الرشيدة العاقلة . ولكن يجب أن تعلم أن الشعب المصري يعاني من الصب في مصلحته . و أن

مصلحته قد إتسعت بصورة هائلة تكفي بألا يشعر بأي ألم حين يصعد إلي أعلي خازوق الانجازات الرئاسية ثم يهبط سريعاً من أعلاه . فبكل بساطة الانجازات الحكومية الحقيقية لا تحتاج إلي أي إعلانات رنانة ولا دعاية صاخبة . فالمواطن يشعر بها في يومه و في تفاصيل حياته العادية من خلال طقس حياته العام في عمله و في الشارع و في المواصلات و في مدرسة أولاده و في التلفاز و علي شبكات الإنترنت . فذلك الإنجاز الخفي اللولبي الذي لا يراه أحد إلا الحكومة قد يكون روحاً شريرة او ما شابه و لكنه ليس إنجازاً أبداً . و لابد أن أنصح الحكومة في النهاية بأن تنفق وقتها الذي تهدره في تلميع و إبراز هذه الانجازات الوهمية التي تبشر بمستقبل وردي خالي من المشاكل في صنع إنجازات حقيقية و إتخاذ قرارات حكيمة تنعكس علي حياة المواطن و تؤثر فيه بالإيجاب . بلا أي عمليات صب دامية تتجرح لها مصلحة المواطن ولا أي خوازيق صلبة ترتعد منها مؤخراتنا جميعاً .و لتبقي مأساة سليمان الحلبي مأساة حقيقية .. إلي النهاية .

نتفيكلس المتحدة

راقت لي تلك الخدعة كثيراً . كنت اشاهد مسلسل بوليسي من إنتاج نيتفليكس يتحدث عن إثنان من أعضاء (FBI) يساعدون أقسام الشرطة في التحقيق مع المجرمين التي تكون جرائمهم غريبة الأطوار و لها دوافع جنسية ونفسية . وكانوا كذلك يعملون علي دراسة السلوك الإجرامي . وكانت هناك إمرأة تعمل معهم في ذلك الفريق . أعترف أني من البداية كنت أري فيها شئ غريب . شئ يذكرني بإبراهيم عيسي و بيتر ميمي و الشركة المتحدة . كان لها مظهر يتأرجح بين الأنوثة و الذكورة . فتشعر بإضطراب داخلك عندما تنظر لها . فهي قد تشعرك بالإثارة و لكنك في ذات الوقت تشعر بالإشتمئزاز و السخط عليها بسبب شخصيتها المبالغ فيها . فتشعر أنك تريد أن تتلبسك شخصية الرجل العنكبوت حتي تطير في السماء في ثواني معدودة لتهبط علي مكان تصوير المسلسل ثم تقفز فوق هذه الممثلة ثم تضربها حتي الموت . تتوالي الحلقات و تسير الأحداث في نفس السياق . دائماً هي من تملك الحل و تتكلم فيسمعها الجميع . دائماً ما تشعر بأن شخصيتها طاغية علي جميع من في المسلسل و عليك أنت أيضاً . دائماً ما تتحلي ببرود أعصاب و لا مبالاة و ثقة عمياء بذاتها تجعلك تعض علي شفتيك غيظاً . تسير بخطوات سريعة جدية و كأنها ذاهبة لتولي رئاسة الولايات المتحدة . تشعر بغرورها يكاد يهشم الشاشة و يهشم عينيك انت الآخر

. ثم و فجأة تعلم من مشهد قصير ليس له أي أثر علي سياق الأحداث بأنها شاذة جنسياً . مشهد عابر ليس له أي معني . و لكن هذا العبور الفجائي هو ما يجعل الأمر يسير بشكل إعتيادي . هي مثلية الجنس و تعتني بالقطط الضالة ولها شعر أشقر و شخصية واثقة و متعجرفة ، كما أنها مجدة في عملها و ضد أي أخطاء في العمل مهما كانت . بالطبع يروق ذلك الخليط لصناع المسلسل . فلا يمكن للسوبر وومان إلا أنت تكون مثلية الجنس متمردة علي ذاتها كأنثي حتي يعلم المشاهد أنه أمام شخصية إستثنائية . بالطبع انا ضد ذلك و لكني أقدر الذكاء و أحب كل من يتحلي به . و لكن علي النقيض تماماً من ذلك هي أعمال الشركة المتحدة . فالحبكة واحدة مكررة و الأفكار عقيمة حتي حشو الأفكار العفنة يبدو بمظهر طفولي و أبله يجعلك تصرخ ضاحكاً . تلك هو الغباء عندما يتمثل في شركة إنتاج توظف المليارات في عمل أفلام و مسلسلات قمة الرداءة . فلابد أن تكون المحجبة ضعيفة و مقهورة و يسخر منها الجميع . و المنتقبة لابد أن تكون إما سارقة تستغل ذلك الغطاء الأسود في أعمال السرقة أو عاهرة تتخفي من اعين الناس او إرهابية او ما شابه . و كذلك الملتحي فإن كان شخص عادي كالتاجر مثلاً فلابد أن يكون غشاشاً و سارقاً و يقسط الميزان بالإضافة إلي أنه متدين مظهرياً فقط أما عن حياته فهو شخص شهواني متزوج من أربع زوجات يعشق أكل الكوارع و العكاوي و الجمبري حتي يعينه ذلك علي ليالي الاسبوع المزدحم . كما انه ساخط دائماً و سليط اللسان و لا يحبه أحد . أما إن كان مدرساً فلابد أن يكون متطرف الفكر و يدفع الشباب إلي إطلاق شواربهم و إرتداء الجلباب و الجبة و يدفع البنات عنواً بإرتداء الحجاب او النقاب و ترك المدرسة للزواج طلباً للعفاف . كما انه يشجع الجميع علي قتل الأقباط الكفار بالإضافة إلي انه كذلك سليط اللسان و متشائم وعابس و لذلك لا يحبه أحد ويريد الجميع التخلص منه .. و في كل الأحوال أياً كان عمل هذا الشخص ففي النصف الثاني من

المسلسل سيتحول هذا الشخص إلي إرهابي يرتع في صحراء سيناء ماسكاً سلاحه من أجل تطبيق شرع الله في الأرض .و إرثاء قواعد الدولة الإسلامية الحديثة .

بالطبع هذه الحبكة تم طيها في مئات الأفلام و المسلسلات و جميعها لم تؤدي هدفها التي صنعت من أجله . لأن المتلقي ليس ببلاهة كتاب و صناع هذه الأعمال . فأنا عن نفسي لا أمانع في ان تدس فكرة موجهة في عمل فني و لكن بشرط ان يكون العمل ..فني فعلاً . بإختصار لماذا لا تكن نيتفليكساوياً في تناولك لأفكارك العفنة التي للأسف سنرفضها أيضاً و لكني كشخص يدعي الذكاء احب من يستخدمه و يتحلي به..

عن صالات الجيم و سيكولوجيا
الإنسان المتوحش

لابد أن تتيقن اني لست نيتشوياً . بالطبع انا لست كذلك و لكن الحديث هو ما يضطرني للإستعانة بذلك المتمرد المجنون . خاصة عندما تسير الآن في أي مكان يكثر فيه الشباب . من المؤكد أنك ستصطدم بذلك المشهد الغريب عندما ترنو بعينيك من حولك لتجد أن الجميع مفتولي العضلات تلتصق قمصانهم بعضلاتهم البارزة العملاقة و عروقهم النافرة . لقد أصبح المجتمع في صورة غريبة و إستثنائية علي دولة مثل مصر لها ثقافة مثل التي لدينا . لقد توحش الجميع و صار الإنسان النيتشوي في طور التعملق وهذا يمثل خطراً علي الوجود الإنساني . فحينما كنت أقرأ أحد كتب نيتشة وهو كتاب (إرادة القوة) الذي دون فيه فريدريك نيتشة عصارة فكره و أيدولوجيته القائمة علي سياسة الصراع و مراكمة القوة . إصطدمت بجملة صادمة فيما معناها انه لابد من العناية بالجانب البدني للإنسان و الاهتمام بالتغذية السليمة . و لابد بعد ذلك أن تخضع الروح إلي الجسد لأن الجسد أقوي من الروح . كلام صادم و واضح و لكنه لا يخلو من منطق سليم تبعاً لنظرية القوة و الصراع التي ينتمي لها نيتشة .

فإنسان نيتشة الشكاك الوحداني المتمرد علي ذاته و علي المجتمع و قيم الكون . الخائف من الطبيعة المادي الأناني . لابد أن يكون مفتول العضلات يشك في جميع من حوله ، يحمل سلاحه دائماً و ينام كالذئب . فصالة الجيم أو البناء العضلي (الشاذ) لجسد الإنسان هي إمتداد و تطور للإنسان المادي حتي يصل إلي الإنسان المتوحش .فهو إنسان يستنبط ثقته و كينونته و ثباته و سلامه النفسي من خلال جسده بعيداً عن الجانب الروحي في الإنسان المتصل بالروح الإلهية و الذي يحقق للإنسان مركزية الكون بإعتباره أهم المخلوقات و أرقاها . و هذه هي اللعبة . فالإنسان المتوحش لن يصل إلي سلام نفسي أبداً و لن يطمئن لهذا العالم وهذا ما يجعله يتوحش أكثر و يتمرد علي ذاته أكثر قبل أن يتمرد علي العالم و الطبيعة من حوله و هذا ما يؤدي به إلي الاستهلاك أكثر و أكثر و التفرد و الوحدانية أكثر و إشباع الشهوات و التحرر من القيم أكثر . فذلك الطراز من الإنسان يشبه المسخ . فهو إنسان مسكين ضخم الهيكل له مظهر غير متناسق يجرح النظر عندما تشاهده . تشعر أنه يسير في غابة مليئة بالذئاب المفترسة و آكلي اللحوم البشرية . فقد تحول إلي حيوان مفترس منزوع القيمة الإنسانية . فالجسد جزء من الإنسان و ليس هو الانسان ككل . فالعقل و الروح و الضمير و الوازع الداخلي و القيم المترسبة داخل الإنسان عندما يتبع كل ذلك جسد الإنسان لأنه الجانب الأقوي سيجعل ذلك الإنسان يبتعد عن كونه إنسان بسيط دوره في الحياة هو التأمل في الكون و في خلق الله و بحث أسباب الوجود و البحث عن مزيد من القيم من وراء الوجود الإنسان علي ظهر هذا الكون .

فالرياضة في حد ذاتها شئ مهم لإنسان العصر و ضروري للحفاظ علي الصحة . و لكن هذا بعيد كل البعد عن ذلك الشاب الذي يقضي سنوات

في صالات الجيم من أجل اللاشئ مدعياً بأنه يمارس الرياضة التي يحتاجها الجسم . فالإنسان ليس في حاجة إلي كل هذا القدر من التضخيم الغير مفهوم قدر ما يحتاج عقل الإنسان و روحه إلي هذا التضخيم . فالجسد عندما يتحول من أداة يتم إدارة الحياة من خلالها إلي وسيلة يسرف الإنسان حياته و وقته و جهده من أجلها بالتأكيد هذا ما يسمي بالجنون . فرحلة الإنسان الإلهي . الإنسان العادي بلا أي سياسات غربية لا تحتاج إلي كل ذلك قدر ما تحتاج إلي عقل راجح مثقف و روح قريبة ملتصقة إلي خالقها تستمد منه الثبات و الثقة و الهدوء الداخلي . ذلك الهدوء الذي يجعل الإنسان يخرج قيم إلهية من كل شئ بسيط من حوله . أما عن هيكلك الضخم الذي تعتقد أنه يجلب لك نظرات الإعجاب في أثناء سيرك في الشارع فهذا إعتقاد خاطئ يجلب لك مزيد من الإهانة . فالإهانة هي أن تلتصق بك نظرات الإعجاب او الدهشة لمجرد أن جسدك مفتول العضلات و عملاق . و هذا سيحدث للأسف في عالمنا الآن التي تسوده قيم نيتشوية . فالجميع يلهث وراء اللاشئ ولا وجود لأي قيمة او معني . فهناك من يروق لهم هذا المظهر كثيراً .و لكن من المؤكد أن هناك القليل ممن يروق لهم عملقة العقل . تلك العملقة التي قد تفيد الإنسان و المجتمع و العالم و البشرية في آن واحد . و الخطر كل الخطر إذا ساد الجانب الأول علي الثاني . و للأسف هذا ما أتوقعه طلما النظام النيتشوي للكون لازل قائم و يبرز مزيد من القيم المادية ..

شباب أنهكه الضحك

بالطبع أراه و أعرفه . لست في حاجة إلي أن أكون عبقرياً حتي أعرفه في غضون ثواني .. أنظر ... أنظر كيف يجلس ... إنه يجلس في الظلام يغالب دموعه كوحش فتاك إستسلم لرتابة الأيام . لم يكن يوماً هكذا و لم يكن يحب أن يكون هكذا في يوماً ما . كان لديه أحلام و لكنها ماتت . لم يكن يعلم بأن هذا الهراء سيكون واقعه الأبدي الذي لا فكاك منه . كم يحزنني شكلك الآن . كم يعجبني سيرك في الحياة بلا أمل سوي مراكمة الخيبات و الانكسارات .. يا لك من بطل سيموت يوماً ما دون أن يعلم بأمره أحد .. أراك الآن تسرف الوقت في المقهي الخالي تنافس نفسك علي رقعة الشطرنج و طاولة الدومينو .. تلعب ثم تغرق في التفكير لترد علي لعبتك .. تصطنع المتعة و اللامبالاة ولكن النار تغلي بداخلك . أعلم أن حماسك قد تلاشي من هول المستقبل . أعلم أن إيمانك بنفسك قد إنتهي بعد أن اصبح إيمانك بالله بلا معني و انت قابع في حجرتك المظلمة تطمح في غد أقل قسوة . أعلم كذلك تلك الصدمة التي تستعر بداخلك لتأكل كل شئ طيب لأنك أخيراً قد صرت رجلاً و عرفت كم أن الإنسان كائن وضيع و بشع . أعلم أن شعورك بالندم لا ينتهي ولكن لا مفر من إستعمال اليد في إفراغ الشهوة . إنها حياة كلاب الشوارع التي لا تتمناها كلاب الشوارع ، و لكنها بالصدفة و لسوء الحظ أصبحت من نصيبك و تحت تصرفك .. أعلم أنني أتمني أن أموت الآن ...عفواً ... أقصد..

أعلم أنك تتمني الموت الآن و في أقرب فرصة . وحتي تأتي تلك الفرصة الذهبية .. ستتجرع السجائر من باب التجربة حتي تمتص رئتيك . ستتنفس المخدر لأول مرة و تجمعك جلسة الحشيش و وتجالس أشخاص لم تكن تتمني أن تمر بجانبهم صدفة في أحد الأزقة الرابضة في غياهب الظلام.

ستدمن النظر إلي الأنثي بكل أنواعها ككلب يلهث بجانب دكان جزارة . و في النهاية لن تهدأ ثورتك و لن تضعف جذوتها .. ستحاول مراراً و تكراراً أن تهرب . تهرب من شعورك بالإخفاق و من وجودك في هذا البلد القمئ . تهرب من أسرتك التي تثقلك بالمتاعب و من المجتمع الذي ينعتك بالإنحدار و الجنون . و يمكن في النهاية أن تطرق أبواب الخروج عن القانون . فيمكن أن تتورط في جريمة ما أو تقف علي قارعة الطريق تبتاع المخدر لزملاءك المنحدرين ، و يمكن أن ينتهي بك الأمر في السجن . بالطبع بدأت الصورة تتضح أكثر . تري الآن قصة حياة معظم العابثين و تجار المخدرات و الخارجين عن القانون . كانوا مثلك يحلمون ثم ماتوا .. باتو بلا أمل و أصبحوا بلا إنسانية كما ستصبح أنت . إنها الحياة يا صديقي .. و لكن هناك حل ...! يمكن أن توفر الهجرة الغير شرعية حلاً مناسباً . فكلا المصيرين نجاة .

عن مكافحة الإرهاب في مصر
الإرهابية

يدهشني كثيراً رفع الحكومة المصرية لراية مكافحة الإرهاب . وحتي الآن لم نعرف من هؤلاء الارهابيين و ما هي أغراضهم و تمويلهم و تسليحهم و عددهم ... إلخ و لكن يبقي السؤال .. هل الحكومة المصرية تحارب الارهاب حقاً ؟

الإرهابي هو شخص لديه تراكمات نفسية غير سوية تدفعه في أقرب فرصة وتحت ضغط ظروف معينة ، إلي الخروج علي المجتمع و قد يتخذ الأمر منحي دموي . فهو ساخط علي كل شئ و يمكن توظيفه في الأعمال التدميرية الشاملة . فهو شخص عدمي لا يملك إستراتيجية محددة في الحياة ولا يملك ما يجعله يعيش . و لذلك يمثل ذلك الشخص خطر علي الدولة و المجتمع .. هذا كتعريف عام أما إذا نظرت إلي الأمر بموضوعية و عمق ستجد الصورة مغايرة لذلك ..

فالخروج علي المجتمع الآن أصبح ضرورة حتمية و نتيجة لما يتعرض له العالم من سيطرة رأسمالية مادية . فتلك الكتلة في حاجة إلي

هذا التنفيس الذي يزيد من قوتها و سيطرتها و مكاسبها أيضاً . فلا يمكن أن يكون العالم بلا خارجين علي المجتمع أو متمردين . فوجود هؤلاء هو من يصنع المشهد و يكمله و يحقق له المرونة في الأداء . و لكن طبعاً بعد نزع السمة الأخلاقية عنهم و مواجهتهم من خلال قوانين المدينة و الدولة . فهم متمردين علي المجتمع و لكن العالم الذي يضم المجتمع هو نفسه متمرد علي نفسه من قبل المنظومة الرأسمالية مما يجعل الإنسان المتمرد يري أنه هو الوحيد المتضرر من هذا التمرد . وهذه هي المشكلة . فالمتمرد هذا يواجه قوة عملاقة تضم تحت سطوتها قوات كثيرة و متشعبة في كل تفاصيل حياتنا . و هذا يغلق كل طرق التمرد المنتج و الفعال مما يجعل الإنسان يتمرد علي نفسه و علي قيمه ليعبث بنفسه و بمجتمعه و لكن بالقدر الذي يفقده قيمه و من ثم إفقاد المجتمع الإنساني قيمه . أما عن الكتلة الرأسمالية فهي قوة عملاقة بعيدة عن هذا الصراع الصبياني . فهي تتحكم في الجميع من خلال قيم رأس المال و قوانين الإقتصاد الصارمة و إستراتيجية الجنة المادية . هذا الحديث بالنسبة لطوائف المتمردين الغير مسلحين كالعدميين و العبثيين أمثال (الهيبيز) . أما عن التمرد المسلح المتطرف فهو أيضاً ضروري لتقييد هذا العالم و تقويضه أكثر . فكما أن الحوادث الإرهابية يتم اللجوء إليها في كثير من الأحيان لأغراض سياسية مثل إنفجار اسطنبول العام الفائت و أحداث ١١ سبتمبر و اللغط المثار حولها . فكذلك هي تحمل السمة الأساسية لعالمنا الحالي و هي نزع القيمة الإنسانية . فهو ليس إنسان تعرض لضغوط نفسية و مجتمعية جعلته ينفجر في وجه العالم بأسره ليمسك بسلاح في يده و يقتل بل هو(إرهابي). هاهي لعبة المسميات التي يجيد الغرب لعبها بحرفية شديدة تجعل الشئ يفقد معناه و قوته . فلن تجد أبداً مثلاً تحقيق مع هؤلاء الإرهابيين و معرفة دوافعهم و علاج الأمر . فهم جماعات مبهمة لها مصادر تمويل غير معلومة و

مصادر تسليح غير معلومة و حماية شديدة غير معلومة . مما يجعلك بأن تشعر بأن العالم يتكون من بحار و محيطات وجبال و دول و إرهاب . تشعر أنهم جزء من العالم . فهم بالطبع جزء من العالم و لا يمكن الإستغناء عنهم . و يصعب أن تستيقظ في أحد الأيام علي خبر القبض علي جماعة إرهابية ما و التحقيق معهم و هكذا . هذا عن العالم . أما عن مصر فالوضع لا يختلف كثيراً بل يتطابق في أمور عديدة . فالإنسان المصري كغيره من البشريين خاضع لقوة مجهولة ترتب سلوكه و تحدد مضمونه و ترسم له أهدافه و أحلامه و نظام حياته . تحدد له الجيد و القبيح و الصالح و الطالح و المجدي و المضر . و هذا ما يجعله يتوحش خاصة إذا تعارضت تلك المحددات مع تكوين الإنسان الطبيعي الذي فطره الله عليه . بالإضافة إلي أن الإنسان المصري في الوقت الحالي يعاني . و أصبح وجود الإرهابي لا يمثل مشكلة بقدر ما يمثل عدم وجوده . ففي كل بيت مصري أب ساخط علي حياته و علي مجتمعه و علي وطنه و يريد الخروج عن المألوف و لو لمرة واحدة . و في كل بيت مصري أنثي مثقولة بالهموم و تدور في دائرة من الحاجة و الأمل الضائع و المستقبل السوداوي لا تنتهي . و في كل بيت مصري هناك إبن لا يفقه شيئاً في الحياة . يشعر بأنه ليس له أي جدوي و أن المستقبل المظلم سيطأه في طريقه لا محالة . و في كل بيت مصري هناك إبنة في منتصف العشرين تطمح للزواج و لكنها لا تجده ولا تجد في حياتها أي شئ تعلق عليه جهلها و قلة حيلتها . و في كل مصلحة حكومية هناك موظف يعاني الحاجة و الفقر الشديد و يعاني من سوء بيئة العمل و فسادها و بيروقراطيتها . و في كل شارع مصري هناك طفل يبتاع المناديل و يزاحم القطط و الكلاب ليلاً في نومهم. وهناك ضابط يسلب يطأ كرامة و كبرياء الجميع . و هناك من فقد شرفه و إنسانيته من أجل أن يجني جنيهات قليلة لا تكفي كسرة خبز و كوب ماء بارد . و هناك من اصبح الشارع بيته و هناك من بات بيته أشبه بالشارع فأصبح منبع

للضياع و إنهيار الإنسان . و هناك من ذاب وسط الزحام و أصبح التعرف علي إنسانيته شئ معقد و مستحيل . وهناك من إبتاعت جسدها لطالبيه بالساعة مقابل حفنة من الجنيهات العفنة . هؤلاء هم أشد خطراً من المنظمات الإرهابية المترامية في كل أنحاء العالم . هؤلاء قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر في أي وقت إذا أتيحت لها الظروف المناسبة . و إذا لم تفق حكومتنا الإرهابية من نومها سيمسكون بأسلحتهم و يلهثون وراء كل شئ ليخرج الوحش من الباب الواسع . ذلك الباب الذي سيغلق علي الجميع ليدور مشهد نهاية العالم . عالم كان يمكن أن يكون أقل إرهاباً ..

أزهي عصور البطيخ

عندما كنت طفلاً صغيراً كان مصطلح المجتمع الدولي يشعرني بشئ من الطمأنينة و الخوف . ذلك الشعور الذي يتملكك عندما يكون والدك في المنزل ، يجلس علي الأريكة و يشاهد التلفاز و يقرض قوس سميك من البطيخ المثلج . بالطبع تشعر بالأمان و الهدوء و جمال البطيخ ..

و لكن بعد مرور عدة سنوات تبين لي خطأ شعوري . و علمت الحقيقة الجلية نتيجة عدة حوادث أخرها مؤتمر المناخ العالمي الذي أقيم النسخة الاخيرة منه في شرم الشيخ . بالطبع لن أتحدث عما فعلته سناء سيف أمام اعين العالم كله بالنظام الحالي مما جعله يلعن مؤتمرات المناخ بمختلف أنواعها . ولكن لفت نظري أمر آخر ألا وهو عدم وجود ما يعرف بالمجتمع الدولي . فالمجتمع الدولي خاضع لسياسات نيتشوية فاشية . فلا يهم إن كنت علي حق أو علي باطل ما دمت ضعيفاً ، فالقوي هو من يحدد قيم العالم و يعيد هيكلة الخير و الشر و الصحيح و الباطل من خلال مآربه و مصالحه . فجرائم إسرائيل في فلسطين يمكن البت فيها عندما تكون هناك جرائم فلسطينية في إسرائيل. و من خلال ما يعرف بحق الفيتو يمكن أن تنكر الخمس دول التي تتحلي بهذا الحق جرائم و مذابح و مجازر إنسانية لصالحها و لصالح جاراتها من الدول الشقيقة . و جدير بالذكر أن نبين أن هذا الحق منح للدول التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية . أي ان حق كهذا تحدد من خلال حرب دموية

مات فيها قرابة المائة مليون إنسان . و هذا يؤكد النزعة النيتشوية لقيم هذا العالم .

ففي مؤتمر المناخ الذي كان يضم معظم دول العالم تقريباً . كان هناك ممثلين للدول المتضررة من الإمبريالية الغربية في توظيف موارد الدول الفقيرة والنامية في منظومة الصناعة الأوروبية . مما أدي إلي إضطرابات مناخية أدت إلي كوارث بشرية و إقتصادية في تلك الدول . بالإضافة إلي هؤلاء الممثلين هناك ممثلين الدول الأوربية و هناك بين الإثنان صحفيين و حقوقيين و نشطاء بيئيين للتعبير عن إحتجاجهم علي سياسة أوروبا الإمبريالية التي أدت إلي إختلال المناخ و الذي أدي بدوره إلي كوارث بشرية علي المدي القريب و البعيد . و الغريب في الأمر أن المؤتمر يعبر في مظهره عن حرية الرأي و الديمقراطية وهكذا و لكن في مضمونه لا يوجد شئ من هذا القبيل . فالحرية محددة و شكلية و الدليل علي ذلك أن المؤتمر إنتهي كما بدأ بلا أي نتائج مجزية للدول المتضررة و المنكوبة . فالمؤتمر أشبه بالحفلة الديمقراطية . فجميع المدعوين يعبرون عن رأيهم و لكن بلا أي طائل . فالديمقراطية المشذبة تسير في طريقها و الآلة الغربية الإمبريالية تسير في طريقها . و لذلك..

أنصح الدول النامية المنكوبة بالإنضمام إلي منظمة الأمم المتحدة لتجلس علي مقربة من الدول الكبيرة في العالم . لتتحلي بالهدوء و الطمأنينة و هي تري رؤساء تلك الدول يلقون الخطابات الرنانة و يناقشون القرارات المصيرية الحاسمة و يقرضون اقواس البطيخ المثلجة ..

ميمي مر من هنا

لست من محبين إثارة الجدل حول شئٍ ما . و لست أيضاً ممن يروق لهم أن يسيروا عكس المألوف حتي ينعتهم البلهاء منا بأفخم المسميات و الألقاب . بالطبع كنت كذلك يوماً ما و لكني تخلصت من ذلك الهوس . و لكني و بعد هدوء و تفكير و تدبر إكتشفت جوانب مختلفة في رواية بلال فضل (أم ميمي) . من المؤكد أني لست مؤيداً إلي الإباحية و الخروج عن الحديث المهذب المنضبط . و لكن ماذا لو كان الواقع إباحياً؟ ماذا لو كان حديث الناس علي المقهي أو في مكان العمل يغمره السباب الفاحش و الحديث الساخط الغير متحفظ ؟ هل هنا يمكن أن تتحول وظيفة الكاتب من ناقل للواقع من خلال فن الكتابة إلي مجمل و ملمع للواقع ؟ بالطبع لا ..و ما دفعني إلي كتابة هذا المقال ليست التعليقات اللازعة التي إنهمرت من السماء فور صدور الرواية علي كاتبها . و لكن قصتي كانت مختلفة و لكنها لحسن الحظ بعيدة كل البعد عما يعانيه ضيقي الأفق من رهاب من كل شئ يخرج عن الإطار و يعبر عن الواقع القاسي بصورة قاسية بعيداً عن التجميل و الاكليشيهات و الحبكات و المناسبات التقليدية . فقصتي كانت مختلفة ..

كنت في أحد الأيام مختلياً بنفسي اشاهد أحد الافلام التي كانت تتناول فترة الثورة بما فيها من مشاعر متضاربة و أحداث ملتهبة . و في أحد المشاهد كانت هناك مصورة ميدانية تصور مع أهالي الشهداء من خلال

كاميرا الهاتف الخاص بها . وفي تلك اللحظة إنتابتني رجفة بسيطة . تلك الرجفة التي تشعر بها عندما تتسلل إليك فكرة لامعة . ثم سألت نفسي .. ما جدوي فنون الإخراج و وسائل المونتاج الحديثة و تقنيات التصوير المتطور و طرق الحوار الإعلامي الصحيح ، و الصورة المصورة الإنسان فيها يتهاوي و يعاني . ما جدوي أصول الكتابة المسرحية من بداية و وسط و نهاية و شخصيات أساسية و فرعية و عقدة و حبكة ...إلخ و بيكيت يري المواطن الأوربي يبكي كمداً و يصرخ ضاحكاً في العنان من هول ما حدث في الحربين العالميتين . بالطبع تصبح كل هذه الأنماط في مواقف و أحداث كهذه مجرد هراء و إكليشيهات تبعد المتلقي عن الصورة الأصلية من خلال دغدغة المشاعر بواسطة اللغة البليغة البراقة و الشخصيات الحالمة و الإطار الرومانتيكي في التناول و المبالغة في تصوير الشخصيات و كل ذلك ..

و هذه الملاحظة أو الخاطرة أنارت لي بعداً أخراً في الرواية بعدما كنت بالفعل معجباً بالرواية ككل و لكني كنت غير مرحب بالأسلوب الأدبي . فرأيت ذكاء الكاتب عندما يستطيع أن يدخلك في أجواء جنائزية صادمة سوداوية . ليخرجك من جنتك الرومانسية التي تحفظك بعيداً عن الواقع القاسي . و كأنه يقول لك ببسمته الهادئة : تفضل هاهي حياتك التي تريد أن أجملها لك من خلال كتابي ! بالطبع هناك من لم تعجبه الرواية و هذا حق كل إنسان في أن يحب و يكره بناء علي حرية مطلقة . و أعلم كذلك أن رواية كهذه ستظل مثيرة للشكوك و التساؤلات إذا ظل الواقع كما هو . فقراءة رواية مثل أم ميمي و في إنتظار جودو تضربك ضربة موجعة في ثلاث إتجاهات . الاتجاه الاول أن الرواية ستجعلك مضطرب الرأي فتشعر بأنها عظيمة ولكن بداخلك إحساساً غريباً .و الاتجاه الثاني أن الرواية بمجرد قراءتها ستشعرك بأن الكاتب

يتناول حياتك أنت داخل قصته و لكنك ستهرب من تلك القبضة الواقعية المؤلمة متشبثاً براية الرفض لذلك الأسلوب الكتابي . أما الإتجاه الثالث فهو أن الرواية لن تعجبك لواقعيتها الشديدة و فداحة أسلوبها . و لكن في كل الحالات الرواية سوف تلمس شيئاً دفيناً بداخلك و ستنفخ الحياة في أشياء ماتت منذ زمن طويل . و أنا علي المستوي الشخصي تأثرت بتلك الرواية ، و هذا ما جعلني أحاول تذوق هذا النوع من الفن رغم رفضي للمنبع الحداثي التي خرجت منه . و بعد ذلك بدأت أهتم بحالة الكاتب اكثر من حالة النمط . فأركان النمط المكتملة تروق للنقاد و الأكاديميين كثيراً و لكنها لا تقتحم الشارع العادي البسيط الذي يغمره الاطفال الحفاة و النساء التي ترفل في رداء الكرب . و الشباب النحيل الذي يتقاتل من أجل جنيهات قليلة . و هنا يكمن دور الثائرين و المجددين . و هذه الثورة لا تعني جهل الفنان بالأنماط المكونة للفن بل تعني الإنقلاب علي هذا النمط و العبث به للوصول للواقع من أجل الإلتصاق بالحقيقة . و هذا التقبل الشفاف ما يجعلك تنتزع الفن إنتزاعاً من لوحات الفن السوريالي كلوحات ماكس إرنست و سلفادور دالي و أندرية بريتون . ومن المقطوعات الموسيقية المتمردة لموزارت و فاجنر و شتراوس . و من أعمال صموئيل بيكيت و غيره من العبثيين . ومن فرق الروك و الچاز و الميتال و البيتلز . فهذه الألوان هي ألوان العصر الحالي أما عن اللون الكلاسيكي الرومانسي الخلاب فقد إنتهي بإنتهاء العصر الفيكتوري و الكلاسيكي . و طلما أن الواقع بشع و عبثي و مجنون فسيظل ميمي يمر كثيراً من هنا ، و ستظل مقطوعات موزارت هي الأفضل و لوحات دالي و إرنست هي الأجمل و كتابات بيكيت هي الأروع و موسيقي الچاز و الروك هي الأعذب و الأكثر قرباً إلي ذائقتي . و لتذهب الكلاسيكية للكلاسيكيين ..

عن التجارة في الهواء

في كل عصر اياً كان طبيعته ستجد من يحاول أن يخطو في الوحل و يخرج الفرص من رحم المعاناة و الضيق . بالطبع هو لا يملك الذكاء الفائق بقدر ما يملك بعض من المرونة و فقدان المبادئ . فهو يعرف كيف يخطو في الوحل دون أن تمسه ذرة طين واحدة . و يمر من المحيط دون أن يبتل ردائه . ففي حقبة مثل التي نحياها الآن الجميع أموات يطمحون إلي أمل للنجاة حتي لو كان أمل زائف. و هذا ما يوفره هؤلاء الحمقا ممن يسمون أنفسهم (أستاذ تنمية بشرية) و (خبير في الأعمال الحرة) و (معالج نفسي) و (إستشاري علاقات زوجية) . فكلها مجالات لها متخصصين يعلمون طبيعة المرض التي تعاني منه بيئة العمل و هذا ما يجعلهم يحددون العلاج و هل يمكن اللجوء للعلاج أم لا . أما عن هؤلاء لا يجيدون إلا شئ واحد و هو خدعة الناس من خلال المظاهر و التلاعب بالكلام الحماسي البراق . فتجدهم شباباً يافعاً جذاباً يرتدون البدل الأنيقة و الأحذية اللامعة و يدخل عليك بالسيارة الفارهة و جهاز الكمبيوتر المحمول لتشعر أنك أمام نجم سينمائي . بالطبع أنت غير مجتهد بالقدر الكافي وهذه هي وظيفة البروفيسور أحمد الذي سوف يملئك حماساً . و بالطبع أنت تفتقد إلي الجمل المفتاحية إلي حد ما و هذه هي وظيفة البروفيسور الذي سوف يكتب لك العديد و العديد من الجمل المفتاحية الرنانة في الأذن التي لا يخلو معظمها من كلمات (حلم و إبدأ و إصرار) . و من المؤكد أنك مصري حكوميّ التعليم و تفتقد إلي التلاعب بالكلمات الإنجليزية و هذه هي وظيفة البروفيسور حتي تشعر

بأن الأمر قد تحول إلي كورس لغة إنجيلزية . فهؤلاء يعانون من مرض نادر يجعلهم يظنون أن الكلمات الإنجليزية تجعلهم أكثر ثقافة و معرفة أمام الناس . بالطبع كل هذا الحديث موجه لطبقة يمكن أن تضيع بعض من الساعات في هذا الهراء . فالدراسين أثرياء بالطبع أما عن المشاهدين من خلال مواقع التواصل فهم طبقة أكثر بلاهة . فهي طبقة تملك الوقت لأنها لا تملك في الحياة شيئاً سواه . تراهن بحاضرها المظلم العشوائي من أجل مستقبل مزيف . بالطبع يكون صيد طبقة كهذه أمر في غاية السهولة . فأشخاص هذه الطبقة لديهم قناعة ثابتة في الحياة وهي أن الواقع ليس سئ و لكن السوء يكمن فيه هو و أن الطريق الأمثل للخروج من ذلك هو التفاؤل . التفاؤل من أجل التفاؤل حتي يصبح الأمر مرض نفسي يعانيه هذا الشخص و إنعزال كامل عن الواقع .

بالطبع لديك بضع ألاف قليلة من الجنيهات ستنفد مع الوقت و تقل قيمتها ، و لكن ماذا لو إستثمرتها في شركة (future academy). أري الخوف في عينيك . و لكن ماذا لو قلت لك أنك ستصير مليونيراً في غضون سنوات قليلة . ها قد سال لعابك و اصبح العرض مغري بالتأكيد و مسألة مشاركتك معنا أصبحت محسومة .

فشركات وهمية مثل هذه تجيد أيضاً التلاعب بالألفاظ و الإبهار دون النظر إلي الواقع الذي لا يشي بأي مكسب أو إستثمار . بالطبع هذا لا يسري علي (future academy) الذي لديهم خبراء كثر في الإقتصاد و الاستثمار قادرين علي إغراقك بالأرباح و المكاسب من حيث لا تحتسب . الجميع بات يتاجر في اللاشئ .. الجميع باتوا يفقهون في كل

شئ . لا يهم من هذا و ما مؤهلاته و كيف ظهر علي شاشة هاتفك او في أحد قاعات التجمع الأنيقة الفارهة . المهم في الأمر أنك فاشل و كسول و لا تقدر علي حمل قدمك إلي الخارج او التفكير في فكرة ما . و لذلك فأنت في حاجة ماسة إلي البروفيسور أحمد أو شركة

(Future Academy) . أما عن علاقتك المضطربة بزوجتك فانت أيضاً في حاجة إلي الإستعانة بطرف ثاني لحل تلك المشاكل . لا تقل لي الإستعانة بالأهل أو الأقارب فهذا كله هراء . فالحل عند مدام إبتهال سلامة إستشارية العلاقات الأسرية . بالطبع لن تسألني من أي كلية تخرجت تلك الإستشارية فهذا كله هراء . فإذا أعجبتك الفكرة فإصطحب زوجتك إلي مكتب الدكتورة إبتهال في المعادي .

السؤال الذي يجتاحني بشدة هو أين كنا عندما فقه هؤلاء الناس في كل شئ ؟ يا لهم من عباقرة ..!

مدام إبتهال هذه أيضاً تفقه في كل شئ . فعن مكتبها . فهو في حي شديد الرقي . نظيف و مهندم و مكتبه من الخشب الزان و لديه نافذة عملاقة تشيع الشمس في الحجرة و هناك في الخلفية مكتبة عملاقة تتراص فيها الكتب التي معظمها باللغة الانجليزية . و بجوار المكتب هناك منضدة صغيرة يوضع عليها نبات بلاستيكي و بعض كتب ملقاة بلا مبالاة . أما عن دكتورة إبتهال فهي تجيد الإنجليزية و لها مظهر جميل و براق و ترتدي عوينات سميكة تشعرك بأنك أمام تشارليز داروين . من المؤكد أنك

ستطمئن و تشعر بالأمان وتدعو لي بكل لغات العالم حينما ترطم عينيك بتلك الشهادة الجامعية الفخمة المعلقة علي الحائط و المكتوبة باللغة الانجليزية . بالطبع أنت لا تعرف حرفاً واحداً من اللغة الانجليزية ولا تعرف أيضاً أي جامعة هذه . و لكن الصيد أخيراً أصبح جاهز للإجهاز عليه بطلقة واحدة . و لكن الغريب ان الطلقات ستتوالي عليك من حيث لا تحتسب . ستخرج من هناك بلا أي جدوي تذكر سوي ذكري بسيطة من كلام براق غير عملي ملئ بالاحتواء و الدعم النفسي بين الطرفين و مشاركة الإهتمامات و الخروج عن المألوف في العلاقة مثل أن تبيت لفترة فوق سطوح منزلك ثم تعود إلي زوجتك بعد فترة غياب فتشعر بالإشتياق لك . أو أن تشتري لها وردة و تهديها لها أو أن تفاجئها في صراع طابور الخبز المحتدم لترقص معها رقصة فالس أو صلصا او سامبا . بالطبع أنت من نوع الزوج الرجعي الذي لا يكترث لأي شئ في الحياة سوي ملئ المعدة عن أخرها بما لذ و طاب من الأصناف و مشاهدة التلفاز و ليلة الخميس .

أما لو كنت تعاني امراض المراهقين النفسية مثل الإكتئاب و عدم الدافعية ... إلخ فأنت في حاجة إلي (Therapist) هذا في حالة إذا كنت من سكان الكومباوندات الراقية و لديك ما يكفيك لتنفقه في هذا الهراء . فالرجل البسيط يعلم سبب هذا الحزن و الإكتئاب المخيم علي الجميع و يعرف أن الدواء ليس في يد أحد لأن الجميع ينتفع من وراء إمراض الشعب . فهذا المعالج ليس

طبيب نفسي بل هو اكثر من ذلك . من المؤكد أنك رأيته في أحد الأفلام الغربية التي نعشق نحن تقليدها . فيقوم هذا المعالج في الفيلم بمرافقة المريضة في كل مكان و يعالجها و ويطبق عليها كل ما قرأه من كتب علم النفس و ما قرأه علي جوجل . فتارة تجده معها في مطعم أنيق او في كافيتريا علي البحر للإستمتاع بالطاقة الإيجابية الخارجة من مياه البحر . بالطبع يمكن أن يواسيها في فقدان شخص عزيز أو يحل مشكلة بينها و بين خطيبها . و تكون نهاية الفيلم أنه يشعر بأنها اصبحت جزءاً منه ، لا يستطيع نسيانها أو معاملتها كحالة مرضية . ثم تأتي النهاية السعيدة و ينتهي الفيلم . بالطبع هذا أحد الجوانب التي يستغلها هؤلاء الحمقا وهو اننا ننبهر بكل ما هو غربي ، دون فحص او دراسة او فهم . وهذا ما نسقط فيه دوماً .. أما أنا فلن أسقط في هذا الشرك . فأنا في الطريق الآن إلي التجمع الخامس لأحضر كورس البروفيسور أحمد . و في المساء سأتجه إلي شركة

(Future Academy) لأضخ لهم مدخراتي كاملة حتي أغتني و أحقق أحلامي بعيداً عن الواقع . و تباً لكم أيها الحمقي

المنطق الإبادي

بعد مرور عدة سنوات علي قتل الحياة السياسية في مصر ..بدأ يثور السؤال التقليدي .. هل إستفادت الحياة السياسية في مصر من التخلص من التيار الإسلامي ؟

وتلك هي إشكالية جميع العصور . الجميع يراهن بكل شئ و بكل بساطة و بلاهة من أجل حلم النجاة .. بالطبع لن تنجو ما دام الجميع قد مات !

فالإخوان دعموا إنقلاب جمال عبد الناصر في ١٩٥٢ و هذا الأخير عندما نجحت حركته أطاح بالحياة السياسية كلياً و بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين . و كذلك بعد الثورة و إصطيادهم من قبل النظام لشغل جميع المناصب جملة واحدة . بالطبع لم يكونوا اغبياء فكانوا يعلمون أنها لعبة و لكن الخطأ الفادح التي إرتكبته جماعة الإخوان أنذاك هو أنها ظنت بنفسها ذكاء خارق و أنها قادرة علي لعق عسل النحلة بلا أي جروح . و هذا هو ما جلعهم يظهرون كلاهثين وراء السلطة . بالطبع أن من بديهيات الدولة المدنية أن للجميع حق الترشح و تولي المناصب السياسية و ما إلي ذلك و لكن هذا يجوز إذا كانت البيئة السياسية ديمقراطية بالفعل و تتحلي بالشفافية و الوضوح . و من ثم بدأو يلاعبوا

النظام بأسلوبه هو إلي أن تخلوا عن مبادئهم و بدأوا يلعبون لعبة من يجني الكرسي أولاً . و إنتهي الأمر بأن فاز العسكر بالكرسي . و في اللعبة هناك فائز و خاسر . و في المناخ الديكتاتوري إما أن تنجو و تتخلص من أفراد النظام الديكتاتوري و إما أن يتم التخلص منك . و لكن الإخوان كانوا مثل التي رقصت علي السلم . فانقلبوا علي الثورة التي كان أحد مطالبها (يسقط يسقط حكم العسكر) بعدما سمحوا لأنفسهم بأن يتعاونوا مع النظام و يتولوا الحكم تحت إدارته . بالطبع غرقت السفينة و لم تتحقق مطالب الثورة التي كان يظن الإخوان و بكل بلاهة أنهم قادرين علي تحقيق تلك المطالب تحت عين العسكر الذي هم أصل كل خراب . وللأسف كانت هذه هي نهاية الإخوان و من ثم نهاية الحياة السياسية في مصر بوجه عام . لأن الإنقلاب علي الشرعية و الحزب الحاكم هو إنقلاب علي تنظيم الدولة ككل أياً كان هذا الحزب أو نوعيته . ثم بدأت الأحزاب اليسارية و الرافضة لحكم الإخوان تتهاوي في نفس الفخ عن عمد أو عن جهل . فأخذت تدعم النظام المنقلب و تحرض علي الإخوان بكل الطرق الممكنة . و بعد أن تم التخلص من جماعة الإخوان تم قتل الحياة السياسية التي كان يمكن أن تمثل فيه تلك الشخصيات دوراً . فأصبحوا مقربين من السلطة و لكنهم علي الهامش و لا يعرفهم أحد و لا يود أحد أن يعرفهم بعد أن إنكشفت لعبتهم الدنيئة . و كل هذا الخليط هو ما أوصلنا إلي النهاية الدموية لحكم الإخوان . فالإخوان هم من وضعوا نفسهم في هذه الإشكالية . فقد إبتلعوا الطُعم بكل سذاجة و قبلوا السلطة من يد العسكر الملطخة بالدماء و الفساد و الغدر . و إرتضوا لنا و لأنفسهم بأن يعملوا تحت إمرتهم . و بدأوا يصلحوا في مشاكل كان النظام العميق هو من يختلقها حتي يحرجهم أمام الجميع . و بدأت المعركة المتوارية خلف الستار تحتدم و تفوح رائحتها في كل مكان . و هذا ما يجيده العسكر كثيراً وهو فن إدارة المعارك . فبدأت القوة تتوازن بين الفريقين فأصبح الإثنان فاسدان و يلهثان وراء السلطة و هنا يفوز

العسكر . لأن العسكر من ناحية هم من يتولون إدارة الجوانب الحساسة في البلاد و قادرين علي هدمها في غضون أيام قليلة . كذلك سلاح الجيش و الداخلية معهم و كذلك أيضاً سلاح الإعلام الذي كان له الدور الأبرز . و كذلك الكتلة المسيحية ككل كانت مؤيدة للعسكر بعدما خدعهم الإعلام بوهم الفتنة الطائفية .. أما عن الإخوان فكان مؤيديهم نوعين . الأول مؤيد للإخوان كجماعة و الثاني مؤيد لهم كحاملي الشرعية و أحد إفرازات ثورة الخامس و العشرين ، و هذا الفريق متيم بالثورة و يخاف كل الخوف من أن تجهض الثورة و لكنه غير داعم للإخوان كتيار سياسي . بالطبع كانت جميع الفرق غارقة في تلك اللعبة الدنيئة الغادرة التي فرضها العسكر علي المشهد عنواً بواسطة الإخوان. و من خلال الضغط الإعلامي و تحريك الرأي العام بدأت شعبية الإخوان تتلاشي و بدأ ذلك الفريق الثاني من أنصار الثورة تهبط معنوياته و يشعر بموجة التفتت العام و قرب نهاية حلم الخامس و العشرين . و هذا ما تحقق و هذا ما كان يريده العسكر . و هو تبلور النموذج الإبادي .

فبدأ الإعلام يهاجم التيار الإسلامي و يخرجه عن كونه تيار سياسي يمارس نشاط علني معلوم. و كل ذلك كان هدفه نزعهم بعيداً عن الشعب المصري . فهم ليسوا مصريين بل إخوان . و بدأت التهم الفادحة الكاذبة تترامي عليهم من كل مكان . و بدأت شخصيات غريبة تخرج علينا بفكرة ضرورة التخلص من جماعة الإخوان المسلمين و بأي ثمن و بأي وسيلة . فتحولوا إلي خلية سرطانية الجميع يريد إستئصالها . و بعد أن تهيئت الظروف المواتية بدأ تنفيذ النموذج الإبادي و بكل وحشية.

فالتخلص منهم بات مطلب جماهيري .

و هنا لا أتكلم عن تلك الاحداث كتاريخ و لكني أريد أن أخرج منها نتيجة وحيدة و هي ألا تمارس سياسة في بيئة ديكتاتورية شمولية . فالنظام يسيطر علي كل شئ فإما أن تطيح به أو يطيح بك . لا يوجد حل آخر . و خطأ الإخوان أنهم إرتضوا بحلاً وسطاً . فتعاونوا معهم بدل الإطاحة بهم . و لكن حتي لا أتجني علي الإخوان فهناك العديد من الأحداث التي أدت بالإخوان إلي هذا المشهد . فبدأ العسكر في أعقاب الثورة في تلميع صورته و الإجتماع دوماً بشباب الثورة ليحيدهم عن المشهد و يبعدهم عن الأحداث . و إيهامهم بأن العصر التالي سيكون عصر ديمقراطي حر .

فالديمقراطية لا تطبقها هيئة و لا يغدق بها جهاز سيادي علي أفراد شعبه . فهي من تفرض نفسها من خلال جهد الأمة كلياً و ليست هيئة أو جهاز سيادي أو حزب سياسي . فالشعب الديمقراطي هو من يطبق الديمقراطية و ليس شيئاً آخر . و هذا أيضاً أحد الفخوخ التي سقطنا فيها و هو أن كل القوي و التيارات السياسية بدأت تعلي من شأنها و تبحث كل منها عن مصلحتها منفردة . و هذا ما حققه لهم العسكر فبدأ يرسم لهم أحلام المستقبل الوردية و....إلخ . ثم بدأ تحييد كل تلك القوي عن المشهد عدا جماعة الإخوان المسلمين التي تم إبرازها بشكل مقصود حتي يتولد لدي الجميع كره تجاهم و علي رأسهم شباب الثورة الذي لم يجني أي شئ . و تلك الطبقة الأخيرة بجوار اليساريين هم من تم توظيفهم في القضاء علي الإخوان سياسياً و شعبياً . و إنتهي الأمر بأن تلاعب العسكر بالجميع و بدأ يرتكب جرائمه الدموية بكل هدوء بعد أن بات الأمر مهيأ لذلك . و أعتقد أن سيناريو الإبادة الدموية كان موجوداً لدي العسكر من قبل . و كانت هذه هي نهاية الحقبة و نهاية المواطن المصري التي أدت به تلك الحوادث الدموية إلي تغير تركيبته و تحولها

بشكل غريب . فملامح الصدمة بدأت تحتل جميع الأوجه حتي الآن . و الروح العبثية التي لا تكترث لأي شئ بدت هي الطابع الطاغي علي حياتنا . و هذا كان نتيجة رهاننا علي الإستقرار و الهدوء في سبيل أي شئ ولكننا أيضاً كنا سذج و حمقي و لم نعلم ان الذئب سيلتهمنا كما إلتهم الباقون طلما إرتضينا بأن نتعاون معه في خططه الدموية البشعة .

أنظر .. إنه شعب جاهل

إذا كنت مصري الجنسية فمن المؤكد أن تلك الجملة قد لطمتك ملايين المرات في مكان العمل و علي شاشات التلفاز و في الأتوبيس و في طابور الخبز و في المصالح الحكومية و في الجرائد و علي لسان الشباب المتحزلق و الآباء الساخطين . و عاداً نحن المصريين ما نحب الأجوبة السريعة و النتائج السهلة المريحة و الأحكام البديهية التي يتم تلويكها دون النظر في مدي صحتها من عدمه . كل ذلك دون دراسة حقيقية لحال المواطن المصري و ما يمر به في ذلك البلد المنكوب الذي يحكمه ثلة من الجهلة و عديمي الكفاءة و الخبرات .

.. بالطبع أعلم أن غالبية مشاكلنا ناتجة عن موجة الجهل العام التي تجتاح كل أوساط الشعب المصري بوجه عام حتي الأوساط المثقفة منه و الشخصيات العامة . و أعلم أيضاً أن الجهل مكون أساسي للخليط العبثي الذي يطفو علي السطح الآن و يغزو كل جوانب حياتنا . و بالتأكيد لن أُكذب تلك المقولة لأنها لا تصدمني بقدر ما كانت ستفعله بي مقولة أن يكون الشعب المصري واعي و مثقف و متحضر ... إلخ . وقتها فقط كنت سأطرق كفاً بأخري و و أحملق عينيا حتي يصبني الجنون و

أتجرد من ملابسي و أصبح عارياً كما ولدتني أمي . و أهرع في الشوارع كالمجاذيب لأردد مقولة " من أين أتي هؤلاء " بالطبع هذه هي الصدمة الحقيقية . لأن كل الظروف و السياسات لا تؤدي إلي أي علم او معرفة او ثقافة او وعي او رؤية . فكيف ستأتي انت بالشعب المتحضر المتعلم الذي يحلق في الفضاء و يمسك بالنجوم و يتلاعب بالكواكب . فالموضوع ليس في سهولة أن نقول إنه شعب جاهل و هو سبب الخراب لانه يفتقد إلي العلم السليم و الدين الصحيح و الأخلاق الكاملة و لكنه أيضاً في غاية السهولة . فالمجتمع او العقل الجمعي كما يقال لدي علماء الإجتماع يمكن أن تضخ له معلومات معينه و سياسات معينة و علي المدي الطويل و تدريجياً يتغير سلوكه و يتحول . فيمكن أن تربي شخص مجرم و يمكن أن تربي شخص صالح . و من خلال الدولة و النظام الحاكم يمكن بإستخدام بعض السياسات ، ان تخلق مجتمع مجرم او تخلق مجتمع صالح . و هذا لا يعني بطبيعة الأمر أن يتلاشي الشواذ من أي منظومة . فهم موجودون و في أي بيئة و اي ظروف . و بالطبع لا يمكن قياس المجتمع من خلالهم . فمن أبشع بقاع الأرض يمكن أن يخرج فناناً مرهف خلاق بالإبداع و الفن . و يمكن أن يخرج من أجمل بقاع الأرض اشخاص عدميين لا ينتجون شيئاً . و كلا المثالين لا يعبران عن الواقع و لكن البعض يرتكن إلي أمثلة كهذه حتي يقوي حجته و يشحذها بأن أنظر إلي هذا العالم كيف نجا بنفسه من بيئته أو أنظر إلي هذا المفكر كيف كان يذاكر في الظلام حتي أصبح مفكراً بارعاً . و للأسف هذا الفخ يقع فيه الكثير من الناس دون قصد بسبب إنهماكهم في نقد الحوادث الفردية و الاحداث الشاذة بعيداً عن السياق العام الذي يجمعنا جميعاً و يطوقنا . فتراه و هو يناقش لا يلجأ إلا إلي أمثلة سطحية تفتقد النظرة الصادقة الواقعية . فالمجرم عنده مجرم بالفطرة ، قد خضع لضعفه الداخلي ليرتكب جريمته . كل ذلك دون النظر إلي البيئة المحيطة او الخروج من تلك الحالة الفردية الخاصة إلي المجتمع بوجه عام أو كم

من المجرمين يمكن أن يخرجوا علينا نتيجة سياسات الحكم الغاشمة و اللامنطقية. بالطبع لا يفعل ذلك و هذا ما يفقده الواقعية و المنطقية في الحكم . و كذلك مشكلة كالإنهيار الأخلاقي . فيرجعها إلي إفتقاد الشخص للدين السليم او غياب التربية او الجهل المتأصل داخله. كلها نتائج يلفظها دون النظر إلي ما وراء ذلك . فلا ينظر إلي التحديات الحادة التي تواجه الدين في بلد مسلم كمصر . و لا ينظر إلي لماذا تغيب التربية في المنزل لتفقد العائلة دورها الحقيقي . و لا ينظر كذلك إلي الصعوبات و التهديدات التي تطارد أي مثقف او راغب في الثقافة و هذا ما يجعل خيار الجهل و السطحية خيار أمن و سليم .

قل ما شئت ولكن يجب أن تتحرر من وهم المجتمع الجاهل لأنك تعبر عن جهلك عندما تتفوه بمثل هذا الحديث . فلا يوجد ما يعرف بالشعب الجاهل و الشعب المتعلم او الشعب المتحضر و الشعب المتوحش . فالدولة تضم حكام و محكومين . نظام و شعب . و وظيفة كل منهما معتمدة علي الآخر . فالشعب و النظام يضعون دستور الدولة الذي يعد عقد إجتماعي بين الإثنان . ثم يختار الشعب من نفسه أشخاص لديهم مؤهلات الحكم لتحقيق ما نص عليه الدستور . ثم يسير الأمر بهذه البساطة . أما عن مصر فالوضع مختلف كل الإختلاف . فالشعب لم يختار النظام و لم يضع الدستور و لا يعلم منه حرفاً واحداً . و هذا ما يجعل النظام يحكم وحده وفقاً لمصالحه دون النظر إلي الشعب . و حتي يضمن النظام بقائه لابد من إرساء مبادئ الجهل و الفوضي في المجتمع و مطاردة المفكرين و الأحرار و اصحاب الرأي . و بمرور الأعوام و نتيجة إحتكاك المجتمع بتلك السياسات ، يعتاد عليها و يألفها و تصبح هي نظام حياته و يتصرف وفقاً لها . و كلما مرت الأعوام إزداد الأمر

و إشتد تعقيداً . فمن المؤكد أن الشعب المصري جاهل .. و لكن إذا ألقيت نظرة علي حال المدرسة و حال المنظومة التعليمية و علي حال المؤسسة الدينية في مصر و علي حال المنظومة الثقافية في مصر و علي الحالة الإقتصادية و الفقر و الغلاء الطاحن الذي يفتك بالجميع مما يضطرهم إلي الذوبان في دائرة البحث عن المال علي حساب تربية الأبناء . كل هذا الخليط سيؤدي تدريجياً إلي غياب مفهوم الأخلاق و مفهوم الدين و مفهوم الثقافة لتجد أمامك النتيجة بكل وضوح . فقبل أن تقول أن الشعب جاهل إسأل نفسك اولاً ماذا زرعنا نحن حتي نحصد شعباً مثقفاً ؟!

الإنسان المثالي

كنت أتصفح (فيس بوك) في أحد الساعات الليلية قتلاً للملل .و قابلني مقطع غريب من نوعه و لكني إكتشفت بعد ذلك أن ذلك النوع من المقاطع موجود و بكثرة علي كل مواقع التواصل الإجتماعي تقريباً. من المؤكد أنك رأيت ذلك الشاب المهذب صاحب البنيان العملاق الذي يخرج عليك و هو يتدحرج داخل صالة الجيم . ثم فجأة يلقي بالأوزان الثقيلة التي يحملها جانباً ثم يقول لك بعدما يقرب الكاميرا من وجهه السمح و يقول و هو يبتلع ريقه و يحاول التنفس بصعوبة :

.. هل تعلم يا صديقي أنك إذا أخذت دقيقة إستراحة بين هذا التمرين و ذاك و إستغليت تلك الدقيقة في قول الحديث الآتي ..... ستنهي يومك الرياضي الذي يتخلله عشر دقائق راحة بعشر مرات تلاوة و هذا يعني أن الجنة أصبحت شيئاً يسيراً و في متناول جميع العمالقة المفتولي العضلات .. بالتوفيق يا صديقي .

أو ذلك الشاب الصغير الذي يخرج عليك و هو يقف في حجرته و من خلفه مكتبة تصطف فيها بعض الكتب و لا مانع في وجود صور لكارل ماركس او شوبنهاور أو ڤان جوخ أو ديستويفسكي علي حائط غرفته . ثم يقول لك و هو يشير بيده يميناً ويساراً :

كنت في زيارة إلي خالتي بالأمس و فجأة دخل زوج خالتي من باب المنزل حاملاً بعض الأكياس و الحاجيات . و عندما وضعها علي الأرض تبين لي أن أحد الأكياس كان به بطاطس . و من هنا يمكن أن أحدثك عزيزي المشاهد عن دور البطاطس في تخصيب اليورانيوم . أو دور السجق الجملي في صناعة الأسمنت أو كيف يسبب القلقاس الوفاة.

أو ذاك الشاب الآخر الذي يجهد نفسه في إعلامك بأنك إذا أخذت كورس (الألماني – الايطالي – الصيني – الجرافيك – المونتاج – البرمجة ...إلخ) ستحجز مقعدك المضمون ضمن هؤلاء الأشخاص الذين يتقاضون مرتباتهم بالعملة الصعبة (يا بختك) بالطبع ستضيع عامان من عمرك القصير في محاولات فاشلة بين تعلم كل هذه الأمور .

بالطبع كل هذا الهراء يروق للحالمين من ناحية و المغيبين من ناحية و قليلي العلم و الوعي من ناحية أخري . و لكن الأمر يحمل نزعة علمانية كبيرة . فالمعلومات موجودة و لكنها بلا قيمة و بلا معني غير أنها تحقق منافع مادية ليس إلا . بالإضافة إلي أنها مجتزءة من سياقها المجتمعي و هذا ما يجعلها بلا تأثير حقيقي . و هذا ما يعانيه العالم الرأسمالي الذي يحملنا جميعاً . فهو عالم يتعامل بثقافة الكم و الثمن فقط . و هذا ما يجعل الجميع يلهث وراء وهم المواطن المثالي الذي يمارس كل ألوان الحياة بدون أن يتحكم فيه أي لون أو يبث له أي قيم. فهو يحادث البنات و يجالسهن و لكنه ليس عربيد و يتجرع الخمر و السجائر في بعض الأحيان و لكنه ليس سكير فاسد و كذلك يلتزم بالقانون إلتزام كامل و لكنه ليس كائن أخلاقي . و يمارس الشعائر الدينية بحرص و يضفي عليها طابع صوفي و لكنه ليس متدين بالمعني الحقيقي . و يمارس الرياضة و يحرص عليها و لكنه غير مهتم بالهدف من وراء ذلك . فهو كائن مادي نفعي طفولي و غير أخلاقي ، ينزع لذته من كل شئ من

حوله دون أن يتأثر بأي شئ حتي لو غرق إلي رأسه في ممارسة عمل ما .

فما جدوي أن تردد كالببغاء ذلك الحديث أو ذاك و انت لا تري فيه سوي أنه وسيلة للسلام الداخلي أو لبلوغ الجنة في الأخرة . فالعملية الدينية أصبحت أشبه بالعملية البنكية . فأنت تراكم ما يعرف (الحسنات) دون أن تعلم ما الجدوي الإنسانية من وراء ذلك . و ما جدوي أن تعلم طريقة عمل القنبلة النووية أو تخصيب اليورانيوم و انت لا تعلم شيئاً عن العالم الذي تدور فيه كل هذه الأشياء . فأنت لم تكتسب في تلك العملية إلا معلومات سطحية ببغائية مجتزءة ليس لها أي قيمة و يمكن أن ترددها كالمجاذيب بجانب ذلك الحديث الذي نصحك به ذلك العملاق الآخر القابع أسفل أثقاله . ففي كل هذه الأمور السطحية و المادية يتلاشي الإنسان . الإنسان بمعناه الحقيقي . الذي يضعف و يخطئ ثم يعود إلي طريق الحق و يمكن أن يضعف و يسقط مرة أخرى فكلها طرق يمكن أن يسلكها الإنسان ليصل إلي حقيقة الكون في النهاية وحقيقة نفسه و حقيقة العالم من حوله . بعيداً عن النظرة المادية للأمر و الإنهماك في مراكمة الحسنات دون هدف أو معني . بالطبع أنا لا أشجع علي الفساد في الأرض و إرتكاب الذنوب . و لكني أنظر إلي صورة مغايرة للإنسان الذي أتمني أن آراه . ذلك الإنسان الذي يراكم الحسنات من خلال رحلته في الحياة و محاولة فهم العالم و ليس أن يجلس في حجرة مظلمة من الجهل و قلة المعرفة ، يردد الأدعية و مراراً و تكراراً بلا معني و دون أن يستفيد العالم منه بأي شئ يذكر . فهو إنسان لا يهتم بالجانب الدرامي و المبهر من وراء طريقة تخصيب اليورانيوم أو طريقة صناعة القنبلة النووية و لكنه يعير إهتمامه للجانب الإجتماعي و التاريخي و الإنساني في الأمر . و هذا ما يجعله يوظف تلك المعرفة الخلاقة في

عمليات معرفية أخري ستنعكس عليه وعلي من حوله و علي مجتمعه وكذلك في الجانب الروحي فيه . فهو إنسان يحب و يكره و يميل و يرفض ضمن إطار إنساني بسيط بعيداً عن لغة الكم و النزعات المادية و صخب الصارخين و المبشرين بالأمل الكاذب في كل مكان . فيمكن أن يلتحق بالطب لأنه يحب مهنة الطبيب . و يمكن أن يكره الجرافيك و المونتاج أو يجد صعوبة في تعلم قواعد اللغة الصينية . فأتمني أن تكمل رفع أثقالك و تردد أحاديثك وحيداً بعيداً عن الكاميرات ..

الكوميديا السوداء

بالطبع لن أحدثك عن حال المواطن المصري الذي بلغ حداً من السواد يصعب أن تجده في أي مكان أخر علي وجه الكوكب . و لكني أتحدث هنا عن رحلتي مع الكوميديا بلونها الحقيقي . فأنا من ذلك الجيل الصغير نسبياً الذي شهد وداع عادل إمام و محمد سعد و محمد هنيدي و أحمد حلمي و غيرهم ... و صعود مواهب لها رائحة الغائط في ظهورها علي الشاشات و علي خشبات المسرح أمثال علي ربيع و حمدي الميرغني و محمد اسامة و اكرم حسني و إيمي سمير غانم و مصطفي خاطر و غيرهم كثيرين . فهؤلاء لا يروا من الكوميديا إلا جانب واحد . ألا وهو الايحاء الجنسي . فجميعهم يرون أن الجنس يمكن إستغلاله كوميدياً بصورة فعالة لدي الجمهور . فتجد البطل الكوميدي يتحدث مع البطلة البلها ء المحافظة في حديث يضفي عليه اللغة الرسمية الطبيعية و لكننا نضحك جميعاً علي بلاهتها و كم هي غبية لأنها لا تفهم غرض الحديث و طبيعة الكلام الذي يجرها إليه . فما يضحكنا ليست تلك الإفيهات السخيفة التي نحفظها جميعاً عن ظهر قلب بل كسر ذلك الحاجز الذي يفصل بين الممثل و المهرج هو ما يضحكنا في بعض الأوقات . و لكنه لحسن الحظ يكون ضحك لحظي يتلاشي بمرور الساعات لتصبح مهمة

تذكرك لذلك الفيلم أمر شديد الصعوبة و غير مجدي . فهي أعمال إستهلاكية غير فنية قصيرة العمر . و لكن يبقي السؤال أيضاً .

اين كنت عندما تحول الجنس إلي مادة كوميديا ؟!

و في النهاية لا أملك إلا أن أنصحك بأن (تأخذ) هذا المقال سيريحك كثيراً و ويمتعك و يشعرك بنشوة أدبية من نوع خاص. وهنا يجب أن ألفت نظرك إلي أن خذ بمعني إقرأ و لا يقصد بها أي إيحاء غير أخلاقي.

...

المخلل الجاد

الذين لا يتحدثون إلا عن الأدب الجاد و المسرح الجاد و الخبز الجاد و الويسكي الجاد و المواعيد الجادة ..

تلك المقدمة الساخرة بدأ بها العظيم محمد الماغوط مقاله أنين في محبرة من كتابه سأخون وطني . فكثير من الناس يطمحون إلي النقاء و المثالية . فيحاولون تسيير كل شئ أياً كانت طبيعته إلي طريق أخلاقي بحت . فعندهم كل شئ يؤدي إلي نتيجة أخلاقية تربوية . فهذا يرضيهم و يجعلهم يطمأنون علي حركة المجتمع من حولهم . فلا يهم أن يحمل الكتاب قيمة أدبية مقارناً بما يحمله من شعارات أخلاقية و دغدغة لمشاعر القراء الجادين . و لا يهم كذلك أن يكون الفيلم علي درجة عالية من الحرفية الفنية بقدر ما يكون الفيلم جديا و اخلاقياً و أزهرياً و سنياً . لا تخلو دقيقة من قيمة أخلاقية و لا يمر مشهد من دون أن يقرأ البطل أية من القرآن أو يخرج رأسه من الشاشة أثناء أذان العصر ليحث المشاهدين علي إقامة الصلاة . و الأغنية كذلك هي لون واحد و طبيعة واحدة و غير ذلك يعد خروج عن التقاليد المعروفة . فالجميع لابد أن يغني علي نمط أم كلثوم بنفس الطريقة و نفس الأسلوب .

فذلك الشخص هو خليط بين الجهل و التدين الخاطئ و التطرف و العدمية . فهو لا يملك ذائقة فنية يحكم بها علي الأعمال الفنية التي يراها . وهذا ما يجعله يبتاع جهاز لابتوب إسلامي أخلاقي جاد و بواسطته يقتص كل المشاهد السينمائية التي تكون فيها البطلة متبرجة أو ترتدي رداء يظهر عوراتها . و المشاهد التي يكون فيها البطل يمسك بيد خطيبته لأن هذا محرم بالطبع و كذلك تلك المشاهد التي يتجرع فيها البطل الخمر أو يلعب الورق أو يدخن لفائف الحشيش . أما إذا كان البطل يعمل في بنك أو كانت البطلة تعمل راقصة أو فتاة ليل فهذا الفيلم مرفوض تماماً ومحرم و لا يمكن مشاهدته . و بعد أن تنتهي عملية الاقتصاص و الحذف و التشذيب يكون الفيلم قد صار جاهزاً للمشاهدة الجادة . بغض النظر عن ان الفيلم الذي كان مائة دقيقة قد أصبح بضع دقائق قليلة و لكن كل ذلك لا يهم مقابل أن تشاهد فيلماً دينياً ملئ بالمشاهد الأخلاقية .

أما عن مباريات كرة القدم . فالكائن الأخلاقي الجاد لا يمانع في مشاهدة مباريات كرة القدم أو إباحة مشاهدتها و كذلك هو في صراع مع نفسه في مدي حرمها من إباحتها . و لكنه في نهاية الأمر لا يمانع في أن يراك تتابع مباريات كرة القدم . بشرط أن تكون قد إنتهيت من كل كتب إبن كثير و إبن القيم و إبن خلدون و الطبري و الغزالي و الإمام محمد إبن هشام . فلا يمكن أن تشاهدة مباراة كرة قدم تافهة و انت بمثل هذا الجهل . و كذلك لا يمكن أن تحب لاعب مثل لونيل ميسي أو محمد صلاح أو كريستيانو رونالدو قبل أن تحب شخص مثل ياسر عرفات أو نيلسون مانديلا او المهاتما غاندي أو عباس العقاد أو جمال عبد الناصر في أسوأ الأحيان . فكيف تحب محمد صلاح و أنت لا تعرف من هو نيسلون مانديلا او ياسر عرفات . مثل هؤلاء الأشخاص

لا يمانعون في قتل ألاف الأشخاص مقابل بسط الإسلام علي بلاد أوروبا الملحدة أو مثلاً طرد المسيحيين من مصر و هدم كنائسهم . أو أي من تلك الأفكار المتطرفة الغاشمة التي تحمل إسم الدين و لكن في طياتها تحمل خلل نفسي و معرفي كبير لأصحابها . و بالمناسبة .. انا أرصد تلك الظاهرة فقط و لا أرجع سببها للناس . فالناس هم نتيجة لسياسات معينة و أسلوب حياة جبري غير منطقي . و لكن للأسف هناك كثير من الناس تغالي في الأمر ولا تحاول أن تتفهم خفايا الأمر و هذا ما يوقعهم و يوقعنا في مشاكل و أحداث نحن في غني عنها .

فما يمارسه هؤلاء الناس ليس تديناً بالمعني الصحيح . و ما اقوله أنا ليست قواعد علمانية غربية تهدف إلي تمييع الاسلام و أحكامه . فيمكن أن تشاهد الفيلم و تنتقده أو تشيد به و لكن من خلال حكم فني بعيداً عن الدين و كذلك يمكنك سماع كل الأغاني بمختلف أنواعها و ألوانها التي تعرفك علي أنواع الموسيقي و تطورها و هكذا و كذلك يمكنك مشاهدة مباريات كرة القدم إذا كنت أو لم تكن قارئاً للطبري و إبن خلدون و إبن كثير . و كذلك يمكن أن تحب محمد صلاح و أنت عاشق لماندیلا أو غاندي . كلها أمور بديهية ولا تحتاج إلي ذلك الإسترسال كله و لكنها عادة المتطرفين فكرياً في أمتنا . يحبسوك في ركن ضيق و إما أن تكون محباً لمحمد صلاح فتكون تافهاً و كافراً و يحل لهم قطع رأسك . أو تكون محباً للعقاد فتدخل جنتهم . فالعالم قد تحول بصورة مرعبة . و جزئية أن ينعزل المسلم الحقيقي في كهف في أحد الجبال البعيدة و يمارس شعائره بعيداً عن العالم الكافر صارت تراثاً من الماضي البعيد . فما يمنع في أن يكون الشخص مؤمن بكل اركان الإسلام و عاملاً بها و محباً لها و في نفس الوقت لديه ذائقة فنية فريدة و ثقافة أدبية واسعة و يحب محمد صلاح كلاعب كرة عظيم و كذلك يحب المهاتما غاندي

و العقاد و مانديلا و يلتهم كتب الطبري و إبن كثير و إبن خلدون و المقريزي . فالفن من أدب و مسرح و صحافة و غناء و تمثيل ركن مهم في تكوين العقل الإنساني المعاصر . و كذلك كتب التراث في التاريخ و الفلسفة و العلوم الإسلامية ركن هام في بناء ثقافة الإنسان . و ضف قبل كل ذلك الفكر الديني السوي الصحيح مع قدر من المرونة لفهم كل الثقافات المختلفة دون التطبيع معها أو السطو علي أفعالها.

فعلي سبيل المثال . اين الآن أعمال حسين صدقي من أذهان الناس ؟ هل أدخلت الناس في دين الله أفواجاً أم ذهبت إلي أدراج الرياح نظراً لإنعدام قيمتها الفنية . وكذلك أين ذهبت كتب سيد قطب من واقعنا الحالي. هل أرست قواعد الحكم الاسلامي أم فشلت في ذلك . فكل تلك الأعمال صورة من صور التطرف و الفكر الغير موضوعي .

الفهرس

سيكولوجيا التواصل الإجتماعي ٧
عن وهم الإشتراكية الناصرية و الاسهال الرأسمالي ١٦
هلاوس قد تروق لك ٢٣
و أخيراً تلاقي الشيخان ٢٧
فضلات فنية ٣١
لم تعد تلك المرأة أمي ٣٦
A man of action ٤١
عن حارة نجيب محفوظ ٤٤
إنها الحنجرة يا أخي ٤٨
عن الشذوذ الجنسي و منظومة اللذة الحداثية ٥١
قبل النهاية ٥٧
التلوث التعليمي ٦٤
المواطن المصلحة ٦٩
نيتفليكس المتحدة ٧٤
عن صالات الجيم و سيكولوجيا الإنسان المتوحش ٧٨
شباب أنهكه الضحك ٨٢

عن مكافحة الارهاب في مصر الارهابية ٨٥
أزهي عصور البطيخ..... ٩٠
ميمي مر من هنا ٩٣
عن التجارة في الهواء ٩٧
المنطق الإبادي ١٠٣
أنظر إنه شعب جاهل ١٠٩
الإنسان المثالي..... ١١٤
الكوميديا السوداء..... ١١٩
المخلل الجاد ١٢٢
الفهرس ١٢٧